الإشارة أزرق

أنور وجدي

اسم الكتاب: الإشارة أزرق

المـــــؤلف: أنور وجدي

الناشـــــر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغـلاف: محمد فاروق

التجهيزات الفنية: حسام أنيس

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣- ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٨٩٦

الترقيم الدولي: ٠- ٥٦-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

توفيق ، أنور وجدي.

الإشارة أزرق وقصص أخرى / أنور وجدي توفيق- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ .

١٢٨ص؛ ٢٠سم.

تدمك: ٠- ٥٦ -٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣.٠١

الإشارة أزرق

أنور وجدي

بورصة الكتب

الطبعة الأولى ٢٠١٤

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة

والطاهرة . . .

روح أمي

هأنا قد تعلمتُ القراءة والكتابة أخيراً ، ولكن وأنا أقترب

من الخامسة والستين من العمر

فليشملكما الله برحمته .

المؤلف

أنور وجدي توفيق علي

المنيا عام ٢٠١٣ م

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تهيئة لابد منها	٩
الإشارة أزرق	١١
اللقاء الأول بعد عشرين عاما	٥٣
الشبح والمحامي	٦٩
بالروح... بالدم	٨٩
مقدمة	٩١
الفصل الأول	٩٣
الفصل الثاني	٩٩
الفصل الثالث	١٠٣
الفصل الأخير	١٠٧
انفلونزا الطيور قصة قصيرة	١٠٩
قصة الحد الفاصل	١١٧
رسالة إلى صديقي الغبي	

تهيئة لابد منها

أبطال قصصي ... وشخوص رواياتي ، صحيح أنني أنا الذي أتيتُ بهم إليكم ... وصحيح أني نبهت عليهم مراراً بما يستوجب عليهم فعله أو قوله ... وعلمتهم كيف يتصرفون وفقاً لما قلته لهم ، بل وحذرتهم كثيراً ، إلا إنهم ، وللأسف ... راحوا يتصرفون ويفعلون ويتحادثون بما لم أقل لهم عليه ، لقد أصابوني بالإحباط ، وبالدهشة واليأس ؛ لذا فإني أمامكم أتبرأ منهم ، ومن تصرفاتهم ، ومن أقوالهم وأفعالهم ، إلا بطل وبطلة قصة اللقاء الأول بعد عشرين عاماً ... فهم جزءٌ مني ، وأنا جزءٌ منهم .

وشكراً

أنور وجدي

المنيا ٢٠١٤

الإشـــارة أزرق

– ١ –

تلفت حوله في حذر شديد .

وبسرعة بالغة وفي حركة متقنة تماماً ، وضع يده اليمنى في جيب معطفه الأسود الذي كان يرتديه ، ثم أخرجها وبها زجاجة ذات لون داكن امتلأ نصفها تقريباً بنوع من الخمر متوسطة الثمن ، ثم وبالسرعة نفسها – المتقنة تماماً وبفعل التعود ، ابتلع منها رشفة ثم أعادها – وبالطريقة نفسها ... إلى جيب معطفه ، وهو ينظر بطرف عينه إلى جندي المرور الذي انشغل بتنظيم حركة المرور في الميدان الذي كان في طريقه إليه بسيارته ، واستراح حين رآه لم يلتفت إليه أو يلاحظ ما فعله ...

" تباً لهذه الدولة " .

تمتم لنفسه وهو يقود سيارته الأجرة .

" تباً لهذه الدولة التي لا هم لها إلا وضع شرطي في كل شارع لا فعل له إلا تلقي الرشاوى والهبات النقدية أو لكي يقوم بضبط فضلاء الناس أمثالي من الذين يشربون الخمر " .

" ثم ما الضرر من احتساء الخمر ؟؟ " .

تساءل في نفسه مستطرداً في ذلك الحوار الذي كان يديره بينه وبين نفسه رافعاً نبرات صوته تدريجياً ومحركاً يديه إلى أعلى وإلى أسفل فوق عجلة القيادة ومتخيلاً نفسه في ساحة إحدى المحاكم ومطلوب منه المرافعة بغية انتزاع البراءة من قلوب قضاة المحكمة ...

" نعم ما الضرر من احتساء الخمر ؟ أنا أشرب إذاً أنا موجود ! حكمة قديمة وإن كنت لا أعرف مصدرها أو قائلها ، ولكنها موجودة في طيات الكتب والعقول ... نعم ، أنا أسكر أو أنا أشرب فأنا موجود ... وأنا موجود إذاً فأنا سوف أظل أسكر ، وهذه نتيجة حتمية مكملة للمنطق السابق ... أنا أشرب من خمسة وعشرين عاماً أو يزيد ... لا أذكر أن أحداً شاهدني أترنح في يوم من الأيام ... هل غبت عن العقل ولو مرة واحدة؟؟ كلا ... وألف كلا ... هل تم ضبطي في حالة سكر ؟؟

لا ... وألف لا ... هل ارتكبت ولو مخالفة مرورية واحدة مثل آلاف السائقين أمثالي ؟؟ لم يحدث ... هل ارتكبت ولو حادثاً بسيطاً خلال تلك السنوات ؟؟ إطلاقاً ... بل ولا يعرف أحد عني هذا الأمر أمر السكر إلا بائعها فقط وهو رجل كتوم ولم أعهد فيه الثرثرة أو الكلام فيما لا يعنيه ، علاوة على أنه يقطن في حي آخر غير الحي الذي أقطن به ... بل حتى زوجتي ... شريكتي في الحياة لا تعلم ... ولو علمت ، فلن تعير الأمر أي أهمية ، لماذا ؟! لأنها تحبني ... أن الواقع سوف يؤكد لها ذلك ... بل ولو صدقت وتأكدت فإن حبها الشديد لي قد يدفعها إلى تسديد ثمن ما أشربه ...

ليس في هذا غرابة ...

مؤكد أنها لن تعير الأمر أي أهمية ...

ومؤكد أنها لا تعلم ، وهذا يكفي في الوقت الحاضر .

نعم ، أيها السادة أنا أشرب إذن أنا موجود ...

بل إن الخمر يجعلني منشرح الصدر ... وفي حالة يقظة على الدوام ...

نعم ... نعم ... يا حضرات السادة المستا ...

حين أوقفت إشارة المرور رتل السيارات الذي كان يسير أمامه توقف هو بالتالي بدوره عن السير بالسيارة ، ومن ثم كف عن الاسترسال في هذه المرافعة التي احتدم نقاشها إلا إنه اعتزم أن يكملها في وقت آخر ، أو في وقت آخر ، أو في جلسة أخرى حسبما تسمح له الظروف بذلك .

حين طال التوقف شعر بإرهاق شديد في عينيه من أثر الومضات والأنوار الحمراء والبيضاء التي كانت تنبعث وتتلألأ من الفوانيس وعواكس السيارات التي أمامه ، التي ملأت الطريق وأغلقته تماماً من كافة الاتجاهات ؛ مما جعله يغمض عينيه برهة قصيرة ، ثم يفتحها كي يريحهما قليلاً ... وحين طال التوقف أكثر ، وأصبح للانتظار وقعاً مملاً للأعصاب ، خطر له أن يقوم بإخراج الزجاجة من جيب معطفه حيث كانت ترقد ويحتسي محتوياتها كلها وفي جرعة واحدة تحت نظر شرطي المرور وفي حالة تعكس شعوراً داخلياً بالتحدي ... إلا إن هذا الخاطر تبخر من ذهنه تماماً بسرعة البرق مثلما أتى .

لا ... لا ... لا يصح هذا ... لا يجوز هذا لست إلى هذه الدرجة من الشجاعة والجرأة ... أن هذا لا يعتبر من قبيل الشجاعة أو الجرأة ... أن

هذا هو التهور والحماقة التي لا مبرر ولا طائل من ورائها ... لا ... لا يجوز فعل هذا بأي حال ...

ولكي ينفي هذا الخاطر من ذهنه نفياً قاطعاً قام بسحب يده من فوق جيب معطفه مخافة أن يخرج الزجاجة في لحظة اندفاع وطيش رغماً عن إرادته وآثر أن يفكر في الأمر ملياً ... بل ويمعن التفكير في كافة الاحتمالات قبل الإقدام على فعل مثل هذا الفعل الذي جال في خاطره .

— ٢ —

انتفض في ذعر شديد كأنما لدغته عقرب حين صكت أذنيه في قسوة مزعجة أصوات عشرات آلات التنبيه المنبعثة من السيارات المتوقفة خلفه ... ونظر في حركة آلية إلى إشارة المرور المثبتة على بعد متر واحد منه، فرآها تضيء باللون الأزرق .

نظر إليها محملقاً ... كان لونها كما هو أزرق وفي الخانة التي كان يجب أن تكون حمراء ... فرك عينيه بكلتا يديه ثم أعاد النظر مرة ثالثة ورابعة ... ولكن لم يكن هناك أدنى شك في اللون الذي كان يشع ويسطع من إشارة المرور التي كانت أمامه ... وهو الذي كان زاهياً في وضوح ولمعان شديد ... لوناً أزرقاً واضحاً ... لا لبس فيه ... ولا إبهام ...

ولم يفهم شيئاً مما يراه أمامه .

إن كافة إشارات المرور في أرجاء المعمورة لا تحتوي إلا على ثلاثة ألوان فقط ، محفوظة ومتعارف عليها وهي الأحمر ثم الأصفر ثم اللون الأخضر ... ولا يوجد من بين ألوانها هذا اللون الغريب والشاذ .

" تباً لهذه الدولة " غمغم لنفسه بصوت مسموع .

تباً لهذه الدولة التي تقوم بتغيير إشارات المرور وألوانها المتعارف عليها دون أن تكلف نفسها إخطار رعاياها بذلك التغيير على الأقل حتى لا تحدث لهم حيرة أو بلبلة ... على أي حال الدولة مسئولياتها كثيرة ومتشعبة وليس من بينها العمل على راحة المواطنين أو جعل حياتهم أكثر بهجة ...

بل لقد تعودنا من الدولة ذلك من زمن طويل ... نعم ، لقد تعودنا أن نفاجأ بقرارات تمس حياتنا اليومية فجأة وبدون سابق إنذار ، بل وبدون أخذ رأي الطرف الآخر الذي سوف تطبق عليه هذه القرارات ، وكأنما تخشى الدولة إن هي أعلنت عن قراراتها أن تفسد المفاجأة التي أعدتها لنا ، وبالتالي تضيع بهجة المفاجأة .

إلا إنه وفي قرارة نفسه شعر بالامتنان الشديد للدولة وللقائمين على الأمر فيها ... إنهم أحسنوا صنعاً باختيارهم هذا اللون الجميل ... إنهم اختاروا لوناً رائعاً بكل المقاييس ... هو نفسه يميل إلى هذا اللون ويفضله عن تلك الألوان الكئيبة السابقة ... أن هذا اللون يذكره بليلة زواجه ، لقد كان يرتدي حلة لونها أزرق ... ورابطة عنق من اللون نفسه ، وكذلك القميص وإن اختلفت درجة يسيرة عن الأزرق وأيضاً الشراب الذي كان يرتديه ... نعم ، إنه يحب اللون الأزرق من طفولته ... نعم ، ينبغي أن يقدم الشكر للدولة على تلك اللفتة الرومانسية الرقيقة التي اتخذتها والتي جاءت مناسبة لذوقه ومزاجه الشخصي ... وفي كل ميدان وفي كل تقاطع وفي كل إشارة مرور سوف يضيء أمامه هذا اللون الأزرق الرائع فيذكره بأجمل ليلة في حياته ليلة زواجه من المرأة التي أحبها وبادلته هي هذا الحب وبالدرجة نفسها ، إن لم تكن أكثر منه مما جعل حياتهما غراماً متصلاً ... وسعادة دائمة أصبحا وأمسيا يعيشان فيها منذ تلك الليلة .

قال لنفسه ، وكأنما يخاطبها أي زوجته :

حين أعود إليك سأقص عليك حكاية الإشارة ذات اللون الأزرق وربما أخذتك معي بالسيارة كي ترى بنفسك وترى تألق هذا اللون الجميل ... نعم ، سأصطحبك بنفسي ، فأنا أعلم كراهيتك الشديدة ونفورك الزائد من الخروج بمفردك ، ولا سيما في فصل الشتاء ، بل أنا لا أذكر أنك خرجت من المنزل بمفردك منذ أن تزوجنا إلا ثلاث أو أربع مرات ، وربما خمس مرات لن تزيد وكلهم كنا سوياً ...

" يا لك من زوجة مخلصة ووفية "

قال هذه الجملة في وله وإعجاب داخلي شديد :

" اتحرك يا مـــ ...

سمع دوياً كقرع الطبول يصك أذنيه في شدة من أثر تلك الجملة التي رماه بها أحد راكبي السيارات من خلفه وهو يمرق من جانبه ... ولم يفهم سبباً لهذا الانفعال ... ولم يدري سبباً لانبعاث أصوات آلات التنبيه هذه بكثرة وبطريقة تدل على الحنق ونفاذ الصبر .

الإشارة حتى الآن مازالت تضيء باللون الأزرق – الأحمر سابقاً – ولم تتغير ... ما المشكلة إذن ؟

علامَ الانزعاج ؟

ولماذا الصياح ؟

ولماذا الانفعال ؟

إلا إنه حين شاهد شرطي المرور يترك مكانه في اتجاهه له وقد تملكه غضب شديد ظهر أثره على سحنته التي انقلبت وتبدلت إلى سحنة أخرى تبتعد قليلاً عما يشابهها من البشر واقتربت أكثر من صور الوحوش الكاسرة ، فهم مما يراه أمامه ما لم ولن تستطيع إشارات المرور كلها مجتمعة أن تشرحه له ، وألهمته غريزته بأنه إنما يجب عليه المسارعة بالفرار من أمام هذا الوحش قبل أن ينقض عليه ، هذا ما فعله ، قبل لحظة وجيزة من اقتراب شرطي المرور من السيارة وهو يتميز غيظاً ويهتز بعنف تحت كسوته الرسمية وغطاء رأسه المهترئ .

وسرعان ما اختفى بين السيارات المسرعة التي تجري في الطريق ولم ينسَ في غمار سرعته أن ينظر في مرآة السيارة على شرطي المرور خوفاً من أن يكون قد انقض على مؤخرة السيارة كي يهشمها وهو فيها ، وتنفس الصعداء حين وجد السيارة تبتعد عنه وأن الشرطي اكتفى بتدوين رقم السيارة فقط دون تهشيم مؤخرتها .

" لا يهم رقم السيارة " ، فسوف تكون هذه المخالفة هي الوحيدة التي ارتكبتها طوال عمري ... والحمد لله أن هذا الشرطي لم يقترب من السيارة أو مني ... وعلى الأخص لم يكتشف ما أحمله في جيبي " .

استراحت أعصابه قليلاً ... وشعر بأنه في حاجة ... إلى رشفة ... صغيرة على شرف نجاته من هذه المشكلة المزدوجة .

وحين أحتسي تلك الرشفة من الزجاجة الصغيرة التي أخذت محتوياتها في التناقص كلما خرجت من جيبه ، فكر في أنه يجب الاقتصاد في استخدامها حتى تكفيه هذه الليلة ... الليلة فقط .

وبالتدريج استراحت أعصابه نوعاً ما ...

أشار له أحد المارة بغية الركوب ... فتوقف بالسيارة على مقربة منه ونظر في المرآة وشاهد الرجل يمشي صوب السيارة في تثاقل وبطء شديد ، وفتح باب السيارة في ثقة وبطء أكثر ، ثم دلف إلى السيارة وغاص في المقعد الخلفي من الناحية اليمنى .

وأغلق على نفسه باب السيارة وكذلك زجاج الباب ، ولم ينبث بأي كلمة ، ولم يتفوه بأي لفظ يفصح عن نيته في الوجهة أو المكان الذي أنتوي الوصول إليه .

كان الرجل نموذجاً لما يطلق عليه بالقطط السمان ، الوجه مكتظ وممتلئ بالدهون ... الشارب كثيف بدرجة تثير الاشمئزاز ... الشعر قصير ، الرقبة لا وجود لها ، حيث اتصلت الرأس بالكتفين مباشرة ، أما في باقي الجسد ، فقد وضحت معالمه حين مالت السيارة قليلاً إلى الجانب الأيمن تحت وطأة ثقله .

ولم يتكلم الرجل ... وبدوره ، فإن السائق أيضاً آثر الصمت حتى يبادره هو بالإفصاح وسار بالسيارة إلى الأمام ، ولم يسأله عن وجهته التي وضح من سكاته أنه لا توجد مشكلة في الأمر .

أرهف السائق أذنيه علَّ الراكب يتنازل ويوضح له وجهته التي يريد الوصول إليها ، ولكن دون جدوى .

أعجبه من الراكب صمته ... هو نفسه لا يحب الثرثرة الكثيرة ، بل ولا يهوى الكلام مع أحد أصلاً وخصوصاً مع الركاب ، وإن كان لابد من الحديث ، فإن ذلك يكون أحياناً في شبه محاورة داخلية بينه وبين نفسه .

فلسفة قد تبدو غريبة ، ولكن هذا ما تعود عليه ... واستراح له ... حتى في منزله ، فإن كلماته لا تتجاوز العشر كلمات في اليوم ...

هو يؤمن إيماناً ، بأن اللسان خلق – ليس للكلام – وإنما خلق اللسان لكي يتذوق ...

ويتذوق فقط ...

يتذوق الخمر ...

طال المسير ... ولم يبدُ على الرجل أية بادرة توحي بأنه سوف يتنازل ويفصح عن نيته في العنوان الذي يقصده .

هل نام الراكب ؟؟

سأل نفسه هذا السؤال ...

هل مات ؟؟

وارتاع لهذا السؤال الرهيب .

أوَيُعقَل هذا ؟

إنها سوف تكون مصادفة فريدة من نوعها ، أن يتعمد ملك الموت انتظار أحد ضحاياه في سيارة – سيارته هو بالذات – دون أي مكان آخر حتى يقوم بعمله .

صدفة قد تبدو شاذة ومستحيلة ...

ولكن لا يوجد ما يمنع من حدوثها .

نظر في المرآة العاكسة التي أمامه ، ولكنها لم تعكس له سويصورة الزجاج الخلفي للسيارة ... ولم يشأ هو أن ينظر خلفه على الراكب للتأكد من حالته، وهل هو على قيد الحياة أم لا ؟ وذلك إشفاقاً على نفسه من تحقق تلك المصادفة التي كان يخشى من حدوثها .

على أي حال فإن الركوب مسئولية كل راكب ... والسيارة سوف تمضي في طريقها ، وعلى الراكب مسئولية الإفصاح عن وجهته ...

استراح لهذه الفكرة نوعاً ما ...

إلا إنه ظهرت في الأفق بوادر مشكلة كان يجب حسمها وبسرعة ، فمن على بعد وضح أن الطريق سوف يتفرع إلى أكثر من جهة ، فأيهما سوف يسلك ؟

على أي حال إذا لم يتكلم الرجل ، فالذنب ذنبه ، وارتاح فكره مرة أخرى إلى هذا القرار ، وسار ببطء حتى يعطي الرجل فرصة أكبر في الاختيار ، ولكن دون جدوى ... ولم يطرأ جديد على الموقف ، واجتازت السيارة

ذلك التقاطع ، ومابرحت تسير في الطريق وزاد من سرعتها بعض الشيء ، ولم يطرأ جديد ...

لا مشكلة ...

إن كل ذلك سوف يأخذ عليه أجرته ، فما المشكلة ؟

المهم ألا يكون ملك الموت يرغب في مزاولة عمله في هذا المكان ...

فجأة برزت وبدون إنذار سابق سيارة ضخمة من إحدى السيارات التي تتبع القوات المسلحة ، ووضح من طريقة سيرها المسرع أنها تسير بدون سائق .

الحادثة واقعة لا محالة ...

والطريق بالكاد لا يسمح إلا بمرور سيارتين متجاورتين ، ولكن بشرط اتخاذ الحذر ... وبشرط أن تكون كل سيارة بها أحد الأشخاص يتولى قيادتها ، وهو ما لم يتحقق في حالتنا هذه بشكل كامل ، والنتيجة معروفة سلفاً ...

ما العمل أمام تلك الكتلة الجبلية المتحركة ؟

لا شيء سوى رحمة السماء وعناية الله وحفظه .

تعالت أصوات احتكاك الأرض بمسطح إطارات سيارته ، وذلك من أثر قيامه بالضغط بكل قوته على الفرامل ثم انحرف إلى أقصى اليسار مبتعداً بقدر إمكانه عن هذا الجبل المتحرك ... وبإعجوبة وبعناية من السماء أنقذته من هذا التصادم المروع الذي كاد أن يحدث ... لولا ...

- يا للغباء ...

جاءت هذه الكلمة من الراكب الملقى في سيارته في المقعد الخلفي ، قالها بهدوء شديد وبدون انفعال ، كأنما كان يقرأ كتاباً وليس تعليقاً على ما حدث أمامه ، إلا إنها وبالنسبة لصاحبنا إنما كان لها وقع السحر .

إذن فالراكب حي ... لم يمت ... مستيقظاً ليس نائماً كما توهم بل وموافق على خط السير الذي فيه السيارة بدليل أنه لم يوجه أي كلمة تدل على التبرم طوال فترة بقائه في السيارة حتى الكلمة المشهورة التي نطق بها إنما وجهها إلى السيارة الأخرى ، إذن فالأمور على ما يرام ...

- توقف هنا .

قالها الراكب بلهجة جافة آمرة مما جعله يتوقف مرة واحدة ... وبصعوبة ترجل من السيارة حيث كان شبه مستلق على الكرسي الخلفي ، وبصعوبة أيضاً أخرج حافظة نقوده ، وأخذ منها بعض الأوراق المالية ، وأنقده إياها ...

كانت خمسة أوراق مالية من فئة العشرة جنيهات .

- ولكن هذا كثيراً يا سيدي ... فالأجرة أقل من ذلك بكثير ... إنها لا تزيد عن عشرة جنيهات .

- أعرف ذلك ، أعرف أن الأجرة عشرة جنيهات فقط ، أما الباقي فإني أدفعه ثمناً لقسط النوم الذي نلته في السيارة .

وأدار له ظهره في حسم معلناً انتهاء النقاش ...

تحسس صاحبنا النقود الورقية في يديه وتردد ... هل يقذف بالباقي في ظهر الرجل ؟ أم يأخذها ؟

إن الرجل دفع النقود طواعية واختياراً ، ولم يجبره أحد على ذلك صحيح أن هذه سيارة وليست فندقاً ... وصحيح أن الأجرة لا تتغير سواء نام الراكب أم بقي مستيقظاً ... داخلته البهجة أم ركبته الأحزان ... حتى ولو كان هذا فندقاً وليست سيارة ، فالأجرة كثيرة ، فلم يبت الرجل ليلة كاملة به .

إنها سفاهة ولا شك في هذا .

لا يهم ... هذا رزقي ... ولم أغتصبه ... ولم أسرقه .

إلا إنه شعر بالإعجاب تجاه هذا الرجل البدين أو كتلة اللحم التي كانت في السيارة ... وأعجبته أكثر طريقة الحسم في عباراته ولهجاته القاطعة التي لا تخلوا من نبرة الأمر ، لدرجة أنه تمنى أن هذا الرجل يتقابل معه مرة أخرى ويستقل السيارة ، بالطريقة نفسها بغض النظر عن ارتفاع الأجرة التي يدفعها أولاً ... بل إنه تمنى لو يعود بالسيارة ويبحث عنه ويأخذه إلى أي مكان آخر يريده بالسيارة ، ويستمتع بوجوده معه – لا أكثر من ذلك – ولكنه لم يفعل ! إعجاب سلبي فقط ، ولكن لم يتعدى ذلك لمرحلة التنفيذ !

أخرج حافظة نقوده وفتحها كي يضع مبلغ الخمسين جنيهاً ، طالعته صورة زوجته التي يحتفظ بصورتها داخل حافظة النقود متقابلة مع صورة

له هو تعبيراً عن أنهما جنباً إلى جنب في كل لحظة من لحظات حياته ، ونظر إلى الصورة في حنان ، وفكر في نفسه سأشتري لك الليلة هدية ، هدية صغيرة تعبر عن حبي لك وامتناني لوفائك الشديد لي طيلة هذه السنوات وتعودك يوماً إثر يوم وليلة ، البقاء بمفردك في المنزل ، ولم تصدر منك كلمة أو عبارة تبين أنك تضيقين بتلك الحياة مثل باقي الزوجات اللاتي تتعالى شكواهن بسبب أو بدون سبب ، وكم أشفق عليك من وطأة الملل ، ملل الانتظار طوال اليوم وساعات من الليل حتى منتصفه تقريباً حتى ينتهي عملي وأعود إليك ... يا لكِ من زوجة صابرة ... وطيبة ... ووفية .

-٣-

أوقف السيارة في شارع شبه مظلم ، واعتزم التجول على قدميه للتفرج على محلات بيع الهدايا ؛ كي يبتاع الهدية الصغيرة التي قرر أن يشتريها لزوجته ، وقبل أن ينزل من السيارة قام بإخراج الزجاجة من جيبه وخبأها أسفل كرسي السيارة في عناية وحرص ، ثم رفع ياقة معطفه تأهباً للنزول وحتى تقيه لسعة البرد القارس الذي ظهر من طريقة ارتداء المارة لملابسهم .

- فاضي لو سمحت ؟

قالها أحد الأشخاص وهو يقوم بفتح الباب الأيسر الخلفي للسيارة وبحركة مباغتة وسريعة لم تترك له حرية اختيار الرد سواء بالاعتذار أو بالإيجاب علاوة على أنه يعلم أن رفض التوصيلة قد يشكل مخالفة ما من وجهة نظر القانون ... ولذا فإنه لم يرَ داعياً للرفض على هذا السؤال وصاحبه السمج كذلك فإنه لم يجد لديه دافعاً ، يدفعه كي يرد عليهبالإيجاب ويوافقه وخصوصاً مع هذه الطريقة الفجة ... وآثر الصمت .

- مصر الجديدة لو سمحت .

قالها الرجل بصوت به رنة توسل ورجاء بعد أن فتح باب السيارة الأيمن من الداخل ونادى على سيدة كانت تقف متوارية في الظلمة وأجلسها بالسيارة .

لم يستغرق الأمر سوى لحظة خاطفة .

وأسقط بيد السائق ... ونظر إلى الساعة المثبتة في السيارة كانت تشير إلى الساعة الثامنة والنصف مساءً .

في غمرة شعوره بالتبرم من هذا الرجل وزوجته أو السيدة التي برفقته ، وأنهما قد يعطلانه عن مقصده لشراء الهدية لزوجته ، فإنه انطلق بالسيارة وبسرعة شديدة ، بل وخطرة ، محاولاً إظهار سخطه للراكب ، لكن بطريقة غير مباشرة .

على أي حال ، الساعة لم تتجاوز الثامنة والنصف ، وسوف أكون في المنزل على أكثر تقدير خلال ساعة ، وسوف تكون مفاجأة لزوجتي من ناحيتين ... الأولى عودتي مبكراً ثلاث ساعات تقريباً عما اعتادته يومياً ، والثانية الهدية التي سوف أشتريها لها ، فلا داعي للقلق ، ومن الواضح أن الراكب وزوجته كانا في عجلة من أمرهما ، ويبدو أنهما أعياهما البحث عن سيارة في هذا الجو القارس والمشبع بالضباب والبرودة ، وحين وجدا سيارته استقلاها بتلك الطريقة الفجة ... وربما ... وربما أن زوجته تلك أو شقيقته لا يهم ، ربما كانت في حالة مرضية قد انتابتها ، وتطلب النجدة والغوث ... ربما ... ولا يليق به النكوص عن واجبه ... على أي حال ، فهذا جزء من عمله الذي يمتهنه ويكسب منه رزقه ...

نعم ...

لا داعي للقلق ...

لن يزيد الأمر على أكثر من ساعة ، وربما ثلاثة أرباع الساعة فقط .

أدار مؤشر المذياع بيده الخالية من عجلة القيادة ، وترك مؤشر اختيار المحطات على إحدى المحطات التي كانت تذيع حواراً بين رجل وسيدة عن دور الأغاني في حياة الشعوب ، وفجأة توقف حديثهما وانبعثت من المذياع هذه الأغنية :

" هل رأى الحب سكارى ؟ سكارى ؟ سكارى ؟ ...

وأغلق المذياع بحركة عنيفة وسريعة .

ترى ؟ ... هل عرفوا ذلك في مبنى الإذاعة ؟؟؟

وأنهم يبحثون ؟؟

وكيف ؟

ولماذا ؟

ومَن الذي أبلغهم ؟

وكيف طوعت الدولة جهازاً مثل جهاز الإذاعة بالكامل ، وجعلته يقوم بدور رجال الشرطة في البحث عن ... عن ... عنه هو بالذات .

ولماذا ؟

ولماذا هو بالذات ؟ أو هم ؟

أي وبصيغة أخرى لماذا لم يشمل هذا البيان القتلة واللصوص ؟

لماذا لم يقولوا هل رأى الحب قتلة ؟؟ أو هل رأى الحب لصوصاً ؟

لماذا ؟

ولماذا قالوا الحب ولم يقولوا هل رأى الحب أحداً " .

الأمر واضح ... إنها شفرة معينة ، فأدخلوا كلمة الحب في البلاغ .

يا لسذاجة الدولة .

ومد يده مرة أخرى وتأكد من غلق المذياع ... بل ونظر إلى الشاشة الزجاجية الصغيرة المثبتة به ، التي تضيء عند فتحه وتظلم عند إغلاقه زيادة منه في التأكد من أنه مغلق ... واستراح نوعاً ما ...

ليبحثوا ما شاء لهم البحث إذن ...

فالوقت ليلاً ، والبحث في الليل عن أحد ما صعب بعض الشيء ، خصوصاً أن البلاغ جاء خالياً من أوصافه ، وهذا سوف يصعب عملية البحث والتعرف عليه ، وهدأت مخاوفه قليلاً ... بل واستراح لهذا الخاطر بعد أن أفزعته تلك الأغنية ، أو هذا البلاغ الذي جاء بطريقة مقلقة .

– ٤ –

من طريقة تهامس الرجل مع السيدة أحس السائق أنهما في حالة حب شديد أو عشق شديد ... إذن فهي ليست زوجته؛ لأن الأزواج مهما كانت درجة الحب الذي يربطهما لا يتصارحان الغرام إلا فوق سرير الزوجية فقط ... ولا يعقل أن زوج وزوجته لا يملكان هذا الشيء البسيط .

وكذلك بالطبع فإنهما ليسا أشقياء .

إذن ، فهي قصة حب بسيطة حتى الآن وبطلاها موجودان خلفه ... في سيارته ... وتعجب !!! إنه ودائماً فإن قصص الحب تقول إنهما تناجيا تحت ظلال إحدى الأشجار أو على شاطئ النيل ، ولا توجد قصة تقول أن المناجاة كانت تحت سقف سيارة ...

ربما هذه إحدى سمات الحب العصري الجديد .

أخذ الرجل يتحدث في صوت غير واضح النبرات أو الحروف ، مبتور الفهم ، ناقص الأجزاء ، شديد الخفوت ... أما السيدة ، فإن دورها اقتصر على الإصغاء فقط ...

لا يهم ذلك ... المهم الأجرة أولاً ... وثانياً ألَّا يحدث شيء في سيارته ، أو أي تصرف يعتبر مخالفاً ، كأن يقبلها مثلاً ، أو يتحسس جسدها بيديه ... أو ... أو ... أو أي تصرف آخر قد يكون نتيجة طبيعية لوجود رجل وامرأة ورغبة جامحة ...

وشبق شديد ...

ولكنه – في قرارة نفسه – قرر أنه حتى لو حدث تصرف منهما يعد في نظر القانون مخالفة ، فإنه سوف يتغاضى عن ذلك ، فمثلاً لو تعانقا ... أو قام

الرجل بتقبيلها خلسة مع عدم الإطالة أو لم يصاحب العناق تغيرات فسيولوجية داخلية على أي منهما ، كل ذلك سوف يسمح به وبشرط ألا يزيد الأمر عن ذلك ، ليس من قبيل عدم النخوة فيه ، وليس لأنه يعتبر سيارته شقة مفروشة تؤجر لارتكاب مثل هذه الأشياء .

لا ... لا ...

ولكن من قبيل حماية المشاعر البريئة وخلق جو صالح لها للنمو والترعرع ، إلا إنه كان من الواضح أن الرجل والمرأة اكتفيا بهذا الوضع فقط ، هو يتكلم بصوت هامس مبحوح ، وهي تستمع فقط ، وكذلك فإن السائق لم يشأ أن يلقي نظرة خلفه كي يتأكد من أنهما في وضع يسمح له بالتدخل أم لا ...

إلا إن أذنيه التقطت بعض العبارات شبه المبتورة من بين تلك الكلمات الهامسة التي كان يقولها الرجل ، فتارة كان يقول : هل من الممكن مساومته ... ؟

أو إرهابه مثلاً ... ؟

أو التصرف معه أي تصرف آخر ، ولو اقتضى أمر إزاحته من الحياة ... ؟

ليحدث ما يحدث ...

وتارة كان يقول : ثم نتزوج أنا وأنت في آخر الأمر .

وتناهت إلى أسماعه هذه العبارة مختلطة بصوت لفات محرك السيارة .

لقد مضى على ذلك الوضع أكثر من أربع سنوات ... وهذا فوق ...

وضاعت باقي الكلمات بفعل آلات التنبيه المجاورة لهما .

— ٥ —

فاحت في الجو رائحة عطرية أخَّاذة انتشرت في حيز السيارة المغلقة نوافذها مما ساعد على تركيز الرائحة أكثر .

لا ريب أن السيدة قامت بفتح واستخدام ما بحوزتها من زجاجات عطرية بحقيبة يدها ... وقد استهوته تلك الرائحة إلى حد ما ، حيث خيل إليه أنها تتشابه مع تلك الرائحة التي تستخدمها زوجته عندما تأخذ زينتها وتتأهب له .

- يا للمصادفة الفريدة .

قال ذلك في نفسه بصوت لم يخرج أصلاً من حلقه .

وانتظر برهة حتى يعطي السيدة فرصة لغلق حقيبتها ، وسأل بطريقة آلية ، وهو يحاول التركيز بشدة في القيادة ، حيث راحت السيارة تزاحمه من كافة الاتجاهات .

- ثم سأل أين في مصر الجديدة ؟؟

بدت من السيدة شهقة خافتة ، كأنما بوغتت بالسؤال ... وبرغم أن تلك الشهقة كانت خافتة ، إلا إنها تناهت إلى سمعه ، مما جعله ينظر أمامه في حذر مخافة أن يكون قد ارتكب خطأً ما أثناء قيادة السيارة ، وحين وجد أن كل شيء على ما يرام ، عاد للسؤال المعتاد له في عمله :

- أين في مصر الجديدة ؟

- أول طريق المطار ...

قال الرجل ذلك في صوت هادئ النبرات ، وبعد لحظة صمت كأنما كان يسترجع العنوان في ذاكرته .

ساد الصمت إلا من صوت محرك السيارة ، وظهر على ما يبدو أن الرجل والسيدة فرغا من تهامسهما وطفقا يحلقان في أجواء من صنع خيالهما العاطفي .

- الشارع القادم يميناً إلى نهايته .

قال الرجل تلك الكلمات فجأة مما جعل السائق ينحرف بطريقة فجائية بالسيارة في الوقت المناسب ، حين أقلقه صوت نفير السيارة التي كانت تسير خلفه ، ويقوم قائدها بإطلاق صوت آلة التنبيه بتلك الطريقة المزعجة والمتوالية ، وكأنما سجل هذا الصوت على آلة تسجيل ، وتركها تدور وتدور بدون انقطاع ، نظر إلى المرآة المثبتة أمامه في منتصف سقف السيارة؛ كي يرى من صاحب هذا الصوت المزعج ، الذي ما فتئَ يصدره من سيارته .

ونظر في حنق شديد ، وبادله السائق الآخر نظرة الحنق هذه بأخرى أشد منها من خلف زجاج السيارة ؛ ولذا فقد آثر أن يدعه يمر في طريقه ، وأفسح له الجانب الأيمن من الطريق كله ؛ كي يمرح فيه كيف يشاء وبدون مزاحمة .

وواصل سيره في طريقه إلى مصر الجديدة ، ولكنه تذكر في لمحة خاطفة أنه حين نظر إلى المرآة ، شاهد السيدة التي كانت مستلقية في المقعد الخلفي

على يسار الزوج أو العشيق ، لاحظ أنها تجلس بطريقة يستحيل وصفها وشرحها ، إنه منظر يرى فقط ... ولكنه لا يوصف .

يُشاهَد فقط ... لكنه لا يُشرَح ، تسجله الأعين في ذاكرتها ... وتعجز الشفاه أن تعبر عنه بالحروف أو الكلمات .

كانت السيدة تجلس في استرخاء غريب وتخدير شبه كامل في المقعد الخلفي له مباشرة ، وقد ارتفع نصف فستانها الأسفل إلى ما فوق ركبتيها ، بل وتجاوز منتصف الفخذين إلى أعلى .

وقد مالت المرأة ونامت على صدر الرجل ودفنت قسمات وجهها فيه ، ولم يظهر من هذا الوجه أو قسماته إلا جدائل وخصلات شعرها الأسود الفاحم ، الذي انسدل على كتفيها وكأنما أصبح جزءاً من الليل أو امتداد له .

وبالرغم من أنها كانت ترتدي فستاناً داكن اللون ، ومقفلاً من أعلى بالكامل وذو أكمام طويلة ، إلا إنه ومع تلك الجلسة الفريدة التي كانت تجلسها السيدة، استحال الفستان إلى فستان آخر وتفصيلة أخرى .

كان أشبه بقطعة القماش التي لم يتم تفصيلها ، قطعة من القماش فقط تستر الجانب الأعلى من السيدة ... وتترك الجانب الأسفل مكشوفاً بالكامل أو بمعنى آخر عارياً تماماً .

نظر مرة أخرى حتى يعرف كيف أن هذا الفستان يبدو في وضع مختلف كل الاختلاف عما عداه من الفساتين ، ولكن خفوت الضوء بل وانعدامه في بعض الأماكن كذلك محاولته التركيز وعدم الانشغال عن القيادة كل

ذلك جعل من الصعب التحقق مرة أخرى من جسد السيدة ، وما يفعلانه خلف ظهره ... لذا فقد ترقب أن تسمح له الظروف بإلقاء نظرة أخرى عليهما ، حتى يقرر ما سوف يفعله حيالهما .

شعر بميل شديد لا يقاوم بالكراهية والنفور من الرجل وهذه المرأة التي بصحبته ... شعوراً لا يدري سببه ، أحسه داخله . كما أن إحساساً آخر داخله بالانقباض وتزامن هذان الشعوران مع بعضهما بداخله .

تماماً مثلما شعر من قبل بالإعجاب بذلك الشخص المكتظ الذي استقل السيارة ، ونام بها ، ولم يكُ هناك أي سبب أو تفسير منطقي لهذا الإعجاب الذي أحسه له ، فلا شكل الرجل وحجم بدانته ، ولا حديثه ، حيث لم يتكلم نهائياً إلا كلمات ثلاث بصوته الأجش ، فلم يكُ فيه ما يغري بإعجابه به ، كذلك لم يكُ هناك دافعاً للنفور وكراهية الثاني ، والسيدة التي معه .

أحياناً يتداخل في نفس المرء مشاعر قلق أو خوف أو فرح وتفاؤل ، تشاؤم ... حزن ... اكتئاب ... مرح وانبساط ، مسرة بالحب والإعجاب ... بالكراهية والنفور والازدراء ... ربما من شخص وربما من طفل أو سيدة ... وربما من مكان ما ... أو صورة ما ... أو ذكرى معينة ... وأحياناً بدون سبب وبدون أي مؤثر .

وتزول تلك الحالة أحياناً ، وبلا سبب ، وكما جاءت بلا تفسير .

— ٦ —

في بقعة غير مضاءة جيداً ومزدحمة بالسيارات المتراصة على جانبي الشارع يميناً ويساراً ، طلب الراكب من السائق التوقف ، وحال توقف السيارة نزل الراكب منها ، وجاء بجوار السائق وهو في عجلة من أمره ، ثم قال له عبر نافذة السائق شبه المفتوحة :

- كم الأجرة ؟
- ثلاثة عشر جنيهاً .
- بالضبط ؟
- أجل .
- هل تعرف هذا العنوان يا سيدي ؟

وأعطاه ورقة صغيرة أخرجها من جيبه ، وكان بها بضعة سطور كُتِبَت بخط مهزوز وغير واضح ، الأمر الذي صعَّب على السائق قراءتها ، وحين استطاع أن يقرأها تبين له أنه عنوان لإحدى المصالح الحكومية ، وأعاد الورقة للراكب قائلاً :

- لا ... لا يا سيدي بكل أسف لا أعرفه .
- فَكِّرْ ... فَكِّرْ ... لعلك تكون قد مررتَ عليه من قبل .
- لا أعتقد أن هذا العنوان في هذا الشارع ، إني على يقين من صحة ما أقول .

ثم استطرد قائلاً :

- حتى لو كان هذا العنوان يقع في هذه المنطقة ، فإن الوقت الآن ليلاً والمصالح الحكومية تكون مغلقة ليلاً .

قال الرجل ، وقد بدت ابتسامة ارتياح على وجهه ، كأنما كان يريد أن يسمع هذا التأكيد اليقيني منه .

- آه ... هذا صحيح ... هذا صحيح ... لا داعي للتفكير في هذا العنوان ، ولكن أستميحك عذراً ... كم الأجرة ؟!!
- ثلاثة عشر جنيهاً ... لم تتغير كما هي .
- هذه هي ... هذه هي بالضبط ... ألف شكر .

وأعطاه الرجل أوراقاً مالية كانت تملأ يده ، وأخذ يحصيها له ورقة ورقة ، حيث إنها كانت من فئات الأوراق المالية ذات القيمة الأقل ، فقد كان أعلاها قيمة لا تتجاوز الجنيه الواحد ، ثم تتراوح باقي الأوراق إلى الفئات الأقل مما استغرق وقتاً في إحصائها ... ولقد صبر السائق على هذا في مضض شديد ، ولكنه لم يبدِ اعتراضاً على طريقة الدفع ، فالأوراق المالية لا غبار عليها ، ولاسبيل لرفضها ، وقال في نفسه ربما يكون الرجل يحمل معه حصالة نقود ادَّخرها منذ أن كان طفلاً ... وفتحها الآن أثناء وجوده بالسيارة ... ربما ... لا ضير في ذلك ... ولا داعي للقلق ...

إلا إنه أحسَّ بأن ذلك الشعور بكراهية هذا الرجل والنفور منه ومن طريقة تضييعه للوقت قد أصبح شعوراً طاغياً بداخله ، وإن كان لم يظهر ذلك على سمات وجهه .

- شكراً ... واعتذر على تضييع وقتك ...

- لا شيء ... لا شيء ...

واستدار السائق بحركة لا شعورية إلى صالون السيارة خلفه كي يلقي نظرة على السيدة إلا إنه وجد السيارة خالية ...

إذن ، فهي ترجلت من السيارة أثناء انشغاله بالحديث مع الرجل ، وتعجب كيف لم يشعر بها حين قامت بالنزول من السيارة ؟

وكيف لم يسمع وقع أقدامها ... ؟؟؟ أتراها كانت حافية القدمين ، ولذا لم تحدث صوتاً أثناء نزولها ؟؟؟

يا لها من سيدة رشيقة الحركة ، وإن كان لم يرها ، بالتأكيد ربما كانت تعمل في إحدى فرق السيرك القومي ... أو تمتهن مهنة الرقص أو حرفة من الحرف التي تستدعي المهارة والخفة ... ربما ...

شعر بالغيظ حين تذكر أن نقاشه مع الرجل حال دون رؤيته لوجه السيدة ... لقد كان يتوق إلى رؤيتها ، ليس من باب إشباع غريزة جنسية لديه ، فهو لا يرى في الدنيا غير زوجته ، وإنما من باب حب الاستطلاع ... حب استطلاع أن يرى بطلة القصة أو بطلة المسرحية التي دارت خلف ظهره لمدة ثلث ساعة في السيارة .... لقد شاهد البطل وناقشه وتحدث

معه، وشعر حياله بالنفور والكراهية ... وأراد رؤية البطلة ؛ كي تكتمل لديه صورة العرض كاملة .

أجل ...

حب استطلاع ... وحب استطلاع فقط ...

إلا إن هذا لا يهم الآن ... فقد انتهت المسرحية وخرج أبطالها من المسرح – مسرح العربة – المهم هو المبادرة بالإسراع إلى المنزل ... وشراء الهدية لزوجته .

وسوف تكون مفاجأة لها من نواحٍ كثيرة ...

من ناحية مفاجأة الهدية ... وبدون مناسبة .

ومن ناحية العودة المبكرة .

ومن ناحية ثالثة أن يصطحبها لنزهة قصيرة بالسيارة ؛ كي ترى بنفسها الإشارة ذات اللون الأزرق .

هذا ما كان يُحدِّث به نفسه حين استدار بالسيارة ... في طريق العودة ، وفي الطريق نفسه .

أخرج الزجاجة من جيبه ... لم يبقَ فيها سوى النذر اليسير ... ربما رشفة واحدة ... ولكنها سوف تؤدي الغرض على أي حال ...

يكفي صمودها إلى آخر رمق حتى الآن .

وبدون تفكير مسبق للفعل ، أفرغ ما تبقى من الزجاجة بداخل فمه ... وسار بالسيارة في طريق العودة ماراً بالشوارع والطرقات نفسها ، التي

كان قد اجتازها من قبل ... إبَّان العرض المسرحي الذي حدث خلف ظهره ، ولم ينسَ أن يُلْقي بالزجاج الفارغة من النافذة خارج سيارته ، ينبغي أن يخفي معالم الجريمة – المعالم الخارجية – أما الجريمة نفسها ، فقد اختفت واستقرت بصورة طبيعية بداخل جوفه .

أيها الجوف ... كم من الجرائم مختفية بداخلك ؟!!

وابتسم لهذا الخاطر ابتسامة رضا ...

أحسَّ أن هناك تناغماً خفياً يجمع بين مكونات الحياة وموجودات الكون من حوله .

أحسَّ أن الدنيا بأسرها إنما تسبح في حالة من الانسجام الطبيعي والتوافق التام ، هناك موسيقى ... حـــالـــمـــة ... تنبعث من مكان خفي، وتنساب من بين أصابع جوقة موسيقية غير منظورة ، بارعة العزف، فائقة الأداء ، مسربلة المخلوقات بألحانها الأخاذة .

وأحسَّ أن الكون أخذ يصمت في هدوء وخشوع ... حتى آلات التنبيه كفت عن العمل ... واكتفى قائدوا السيارات بالإشارات الضوئية المتعارف عليها حفاظاً عليها حفاظاً على هذا الصمت الحالم أن يتبدد .

– ٧ –

توقف بالسيارة لا شعورياً ، وبحركة غريزية حين أشار له أحد الأشخاص بالتوقف وابتدره سائلاً :

- مليان يا اسطى ؟

نظر إليه واجماً ، وتحيَّر الرد فوق لسانه واستكمل سيره مصغياً إلى تلك السيمفونية الجاري عزفها في أرجاء الكون ...

- ما هذا اليوم العجيب ؟؟؟

- ما هذا اليوم العجيب ؟؟؟

- ما الذي حدث لعقول الناس ؟

الدولة تغير إشارات المرور ، وتجعل لونها أزرق ، خلاف ما تعارف الناس عليه في كل أرجاء المعمورة ، ولا تخطر مواطنيها بذلك ، بل تتركهم في جهلهم يهيمون وراكب يدفع أضعاف المبلغ المطلوب منه بحجة أنه نال قسطاً من النوم في السيارة ، ولا يهمه العنوان الذي يقصده ... وآخر اعتبر السيارة مأوى للعشاق ، فتقابل مع عشيقته في السيارة ، وأفضى كلٌّ منهما للآخر بما يعتمل في أعماقه من شوق ولوعة ، ثم نزلا قاصدين مصلحة حكومية غير موجودة لا مكاناً ولا زماناً ومواطن آخر اعتقد في نفسه خفة وظرفاً ، فسأله مليان بدلاً من الكلمة الطبيعية التي كان من المفروض أن يقولها له وهي فاضي !!

- ما هذا ... ؟

- ما الذي جرى ...

أخذت السيارات التي أمامه تهدئ من سرعتها تدريجياً ، وسرعان ما توقف رتل طويل من السيارات مختلفة الأنواع والماركات إذعاناً للإشارة المرورية التي كانت تضيء باللون الأحمر المحذر ، ثم أضاءت اللون الأوسط ، وهو الأصفر واستأنفت السيارات سيرها حين أضاء اللون الثالث في إشارة المرور وهو اللون الأخضر الذي يعني السماح بالسير للسيارات .

عجباً ...

عادت الدولة إلى رشدها أخيراً ، وأعادت اللون الأخضر إلى الإشارة بعد أن كان أزرقاً ... وأيضاً لم تكلف الدولة نفسها إخطار المواطنين بذلك، لا ريب أن الدولة لديها من المشاغل والمشاكل المهمة التي جعلتها تنسى مواطنيها .

هذا لا شك فيه .

إذن فالدولة معذورة ، وربما أن القائمين على الأمر في الدولة تنتابهم لحظات سكر ، فلا يدرون كيف يخططون ، ولا كيف يسيرون أمور الدولة بصورة حسنة ... وربما هم بالذات وليس هو ... الذي كان مؤشر الراديو يبحث عنهم بقوله :

" هل رأى الحب سكارى ... ربما " .

لا ... لا ... لن أشتري شيئاً في يوم مثل هذا اليوم .

هذا ما قاله لنفسه .

إن اليوم غريب في أحداثه ووقائعه ... ويكفي ما حدث في هذا اليوم من غرائب ، لا حاجة للمزيد ، سأعود إلى المنزل حيث الدفء والحنان ،

وأحكي لزوجتي وقائع ما حدث ... وسوف تُسر هي حين تراني أبكرت في العودة ... ونقضي الأمسية أمام التليفزيون ، وسوف تضحك هي حين أحكي لها عن مضحكات هذا اليوم ... أما الهدية فأمامها غداً أو أي يوم آخر ... لا ... لا ... غداً على الأكثر أشتري ما أريده أنا لا أعلم ماذا خبأه القدر لي في هذا اليوم العجيب وأنا بطبعي أشعر دائماً بالتطير ، وأميل إلى التشاؤم من أي شيء تافه ، فما بالك بما حدث اليوم ؟؟؟

نعم ... العودة إلى المنزل أفضل يكفي ما نلته من نقود سأحكي لها عن الرجل المسطول ... وعن السيدة التي تستخدم الرائحة العطرية نفسها التي تستخدمها هي ... وسأمثل لها بصوتي كيف كانت الشهقة التي بدت من السيدة حين سمعت صوتي وأنا أتحدث مع الرجل ...

نعم ، من الواضح أنها سوف تكون أمسية مسلية لنا نحن الاثنين وسأحكي لها عن هذا الأخير السمج ... أشياء كثيرة ... نعم كثيرة .

أوصله الشارع الرئيس إلى أول الشارع الذي يقع فيه منزله ...

المكان هادئ ... وجميل ... ورغم أن الحي الكائن به المنزل لا يعتبر من بين الأحياء التي تنم عن سعة ثروة قاطنيها ، إلا إن الشارع كان يتسم بالنظافة والهدوء ... ويعطي مدلولاً ولو بسيطاً عن الرقي ...

الأرصفة نظيفة ... والمنازل ذات ألوان متناسقة بعضها البعض ... الأشجار مهذبة الحواشي ، شرفات المنازل معظمها رصت بها أصص الزهور وأجمالاً كان المكان كأنه لوحة زيتية جميلة رسمت بيد فنان ذي حس مرهف ، وطرزته أنامل واشٍ رقيق المشاعر .

أوقف السيارة في أول الشارع – لحظة – قاصداً أن يصلح من هندامه ويتناول قطعة من اللبان يشتريها بين محل البقالة الكائن بعيداً عن منزله حتى تضيع أي آثار لأية رائحة قد تكون عالقة بفمه ... كما أنه أراد أن يجري لنفسه اختباراً عن مدى ثبات أقدامه وثبات توازنه بعد كافة ما مر عليه اليوم من أحداث ... نعم وبعد كافة ما رآه ... وشربـ ...

إنه يحرص دائماً أن يكون في صورة حسنة ومحترمة لكافة المتعاملين معه ... الجيران ... البواب ... عامل المصعد ... ثم أخيراً زوجته ... واشترى ما أراد وعندما عادا إلى السيارة استرعى انتباهه بداخلها وجود شيء ملقى على المقعد الخلفي ... في المكان الذي كانت تشغله السيدة ... أو العشيقة كما يجب أن تعرف ... كانت قطعة من القماش (كوفية) لونها أبيض وتفوح منها تلك الرائحة العطرية التي فاح أريجها وانتشر في جو العربة أثناء وجودهما في السيارة ، الرجل والمرأة ...

لا شك أن هذا الإشارب قد سقط من السيدة أثناء قيامها بفتح حقيبة يدها ... أو ربما سقط منها أثناء قيامها بالنزول من السيارة ، الذي لا يعلم كيف تم ، ولا متى وبأي طريقة ...

وفتح درجاً صغيراً في السيارة ووضعه فيه ... ربما عادا للسؤال عنه . إن الأمانة والواجب يقتضيان منه أن يقوم بالاحتفاظ بمثل هذه الأشياء لحين السؤال عنها بمعرفة أصحابها وعلى العموم لن يضار هو من الا حتفاظ به بضعة من الوقت ... طال هذا الوقت أم قصر ...

مرقت بجواره سيارة من الحجم الصغير ظهر من استخدام قائدها لآلات التنبيه بكثرة أنه في عجلة من أمره ، ولفت نظره أكثر أن قائدها هو

الرجل نفسه ، مرافق السيدة اللذان كانا معاً من قبل في سيارته ... ومن على بُعد خيل إليه إنه يرى قوام المرأة بجانبه – ولكن في غير تأكد – فإن سرعة السيارة لم تجعله يتأكد من ملامحها جيداً وبوضوح ، ولم يستغرق الأمر سوى لحظة قصيرة .

إذن ، فها هم قد اهتدوا إلى العنوان أو في طريقهم إلى الاهتداء إليه بسرعة غريبة ، مثلما يحدث في الأفلام والقصص الخيالية ، وها هم قد عادوا إلى منزله كي يستردوا وديعتهم أو الشيء الذي سقط منهم ، وربما أنهم اهتدوا إلى العنوان عن طريق إدلائهم بأوصاف السيارة أو ربما أنهما استطاعا التقاط رقم السيارة والبحث عنها ... ربما ... ربما ... على العموم لا تخافا ، فأشياؤكما في يد أمينة ، وها هو الإيشارب معي لم يمس ، وسوف تستردونه بدون عناء ... ولن أقبل الشكر ... لا ... ولن أقبل المكافأة هذا واجب وأنا أؤديه كاملاً ، ولن أنتظر من وراء واجبي تقاضي أي ثمن ...

لا بأس لو جاءت الصحف ووكالات الأنباء كي تجري تحقيقاً صحفياً عن الموضوع ، بالطبع سوف تتسابق الصحف على نشر صورة هذا السائق الأمين ، وربما تنافست محطات الإذاعة المختلفة على إبراز هذا الحدث في نشراتها ... نعم ... ربما حدث هذا بالفعل ... إن الأمانة والشهامة شيئان نادران في هذه الأيام ... فلا بأس من هذا ... " سائق أمين يحتفظ بأشياء خاصة براكبي سيارته " .

" السائق يرفض المكافأة بإصرار " .

" الحكومة تفكر في إنشاء ضاحية باسمه أو باسم قريب من الموضوع " .

" السائق يطالب بوضع آلة في كل سيارة تنبيه راكبها إذا نسي شيئاً بها ... إلخ " السائق يقول ...

" السائق يصرح ... "

ثم صورة له بالحجم الكبير وهو يقول :

" أهدي كل هذا المجد لزوجتي ؛ لأن وراء كل سكير امرأة ... " .

وتوقفت هنا العبارات والأخيلة التي طافت برأسه .

ما هذا الكلام الذي لا لزوم له ... لن تأتي الجرائد أو وكالات الأنباء أو الإذاعة .

بالقرب من منزله ... وفي الاتجاه المضاد له تقابل مع السيارة الصغيرة التي شاهد فيها الرجل منذ قليل وحين توازت السيارتان ، وتقابلتا ، أشار للرجل بالتوقف ، وابتدره قائلاً :

- صباح الخير يا سيدي .
- مساء الخير .
- هذا الإيشارب يخص زوجتك .

ونظر إليه الرجل في حيرة ودهشة قائلاً :

- أنا لست متزوجاً يا سيدي .
- أعرف ... أعرف ذلك تماماً ... أعني أنه ربما ... أو من المحتمل أن يكون خاصاً بالسيدة التي كانت معك حينما كنتما في سيارتي منذ قليل

قال الرجل في برود :

- ولماذا أركب سيارتك ، وأنا لديَّ هذه السيارة الخاصة كما ترى .
- إنكما كنتما معي في طريق المطار ، حين سألتني عن ...
- لم يحدث هذا ... لم يحدث إطلاقاً .

- إن بجيبي النقود ذات القطع الصغيرة التي أعطيتنيها يا سيدي مقابل الأجرة ... بل إنها مازالت تملأ جيوبي كلها .

ووضع يده في جيبه ؛ كي يخرج قطع النقود المعدنية ...

وهنا فقد الرجل ما تبقى لديه من صبر ، خاصة وأن السيارات التي توقفت خلفهما في الاتجاهين بدأت تطلق صفارتها ... فقال له بحنق وغيظ :

- أرى أنك تهذي يا سيدي ... بل إنك سكران .

ومضى وتركه في حيرته ... وعلى لسانه تساؤل : كيف عرفت ؟!

وقرر في نفسه أن يضيف هذه الواقعة إلى سلسلة غرائب هذا اليوم الكئيب ، إلا إنه وفي غمرة شعوره بالغيظ بسبب موقف هذا الرجل البارد حياله ، وهو الذي اتسم بعدم النبل ؛ فإنه أرجع ما حدث لخطئه الشخصي وتسرُّعه ، فمن الجائز أن هذا الرجل غير الرجل الذي استقل سيارته ، خصوصاً أنه الآن بمفرده ، فأين ذهبت السيدة ؟

إن الرجال تتشابه سحناتهم ، وهذا هو سبب الخطأ والخلط الذي وقع فيه .

والملابس ؟!

والملابس أيضاً تتشابه ... إن المصانع الخاصة بالملابس الجاهزة تنتج يومياً طرازات موحدة ، وليس من الشاذ أن ترى شخصين في مكان واحد يرتديان الملابس المتشابهة وكأنهما توأمان ...

نعم ... هذا صحيح ...

إلا إنه داخله شعور بالفزع والكآبة الشديدة حين استرجعت ذاكرته تلك الجملة الأخيرة التي تفوَّه بها الرجل .

كيف عرف هذا النذل ؟!!

هل كانت رائحة السيارة جلية إلى هذا الحد ؟؟؟

هل شاهد الزجاجة ؟!

إذن ، فيجب عدم استخدام هذا الصنف من الزجاجات ، والذي يفصح عما بداخله ... سيوصي البائع أن يعبئ له الكمية التي يطلبها في برطمانات لها فوهة ضيقة ... نعم ... نعم ... يجب استخدام الحيل والذكاء والعقل ، حفاظاً على أن يبقى هذا الأمر كما هو ... في نطاق السرية المطلقة .

وأوقف تفكيره عند هذه المرحلة وصوله إلى منزله ...

كانت الشرفة مضاءة في الدور الرابع ، حيث يقطن هو وزوجته إذن فهي مستيقظة ... وترجَّل من السيارة ، ولم ينسَ أن يأخذ الإيشارب معه .

- السلام عليكم يا عم محمد .

قالها للبواب الذي نظر إليه في حيرة وقلق وعدم تصديق .

- وعليكم السلام ...

أجابه البواب في تردد واضح .

تجاوز الردهة التي جلس في أولها حارس العمارة إلى جنب المصعد ، وضغط على الزرار الخاص باستدعائه من أعلى إلى أسفل ، وانتظر هبوطه بفكر مرهق وعقل مكدود بفعل ما مر به طوال اليوم من غرائب ، استقر المصعد في أسفل العمارة أمامه ، كان من النوع القديم صغير الحجم الذي يتسع بالكاد لشخصين فقط ، إلا إنه يفي بالغرض بالنسبة له ، كان المصعد

خالياً من العامل الذي يقوم بتشغيله ... إذن سيصعد بمفرده ، لقد كان في نيته ، والإيشارب في يده أن يقص على عامل المصعد قصة هذا الإيشارب ... ولكنه الآن خاب أمله في أن يقطع وقت وجوده في المصعد بهذه الحكاية الصغيرة حتى يسلي بها نفسه ، حيث إنه كان لديه دائماً إحساس بالخوف من ركوب المصاعد من كثرة ما يسمعه عن حوادثها .

لا بأس إذن ...

حين ولج بداخل المصعد ، دخلت خياشيمه تلك الرائحة العطرية التي عرفها في السيارة التي تستخدمها زوجته ، وربما كان ذلك بفعل أن المكان بالمصعد ذا حيز صغير والهواء غير متجدد الأمر الذي جعل تلك الرائحة العطرية نفاذة بعض الشيء .

وربما سبب آخر يعرفه هو وهداه إليه تفكيره .

ربما ...

آه ها هم وصلوا بالفعل واهتدوا إلى مسكنه وعادوا يطالبون بالإيشارب الذي سقط منهم .

وبالتأكيد أن زوجته قد استقبلتهما ... وربما ينتظرانه بالأعلى ، وربما انصرفا على أمل العودة في يوم آخر .

لا ريب أن زوجته قد طمأنتهما على أن الأمانة سوف ترد إلى أصحابها .

توقف المصعد عند الدور الرابع ، حيث شقته .

وعلى باب الشقة ومن خلف زجاج الباب كانت أضواء الشقة تنبئ بوضوح أن بالداخل شيء غير طبيعي .

وابتسم ابتسامة العالِم ببواطن الأمور .

وتذكر أن مندوبي الصحف والمجلات الإخبارية سوف يحضرون في الصباح الباكر للتقابل معه ؛ فيجب أن تكون إضاءة الشقة شديدة كي تظهر صورته بوضوح .

وضغط زر جرس شقته .

وانتظر .

وضغط مرة أخرى .

وانتظر برهة ...

لا شك أن زوجته مع الضيوف ، أو ربما إنها في غرفة الطعام تعد لهم مشروباً على سبيل الضيافة .

وفي محاولة منه ألا يشغلها عما هي فيه ، أخرج مفتاح الشقة من جيبه ، ووضعه في قفل الباب ، ثم أخرج الإيشارب وأمسكه في يده الأخرى ورفعه إلى أعلى ، وأدار المفتاح في التجويف الخاص به .

وفتح الباب .

كانت زوجته تقف في منتصف الصالة تقريباً ، وبجانبها حقيبة ظَهَرَ من انتفاخ جوانبها إنها ممتلئة عن آخرها ، وقابلت زوجته دخوله إلى الشقة بنظرة جامدة خلت من أي معنى من المعاني ونظرت إليه ، ثم إلى الإيشارب الذي كان ممسكاً به في يده وقالت بحدة شديدة .

- لقد أسرفت اليوم في الشراب كعادتك ...

وحملق فيها ولم يفهم ... ونادت على البواب وبصوت مرتفع ، وهي في طريقها لخارج الشقة تجرجر حقيبتها .

- يا عم إسماعيل يا بواب .

وغادرت الباب إلى السلالم ، ثم إلى أسفل .

اللقاء الأول

بعد عشرين عاماً

هذا ما حدث

لا زيادة فيه ولا نقصان ... لا مجال فيه للوهم ... لا مكان فيه للتخيل ... ولا توجد به شبهة اختلاق أو تصور ، حتى وإن بدا الأمر مستغرباً ... ولكن... لماذا الاختلاق؟؟! ولماذا الاستغراب؟؟! وعلامَ التفكير ... ...؟؟!

إليكم ما حدث ... ، دون تدخل مني بأي إضافة أو زيادات :

حين كانت الساعة في تمام الواحدة والنصف ظهراً ، أُخِذْتُ إلى مقر عملها ... شاهدتها تقف بداخل غرفة مكتبها ، حيث كانت تعمل ... ولقد لاحظتُ أن مكان العمل متغير بعض الشيء عن سابق العهد به ... لا يهم .

ولكن كيف ... ؟؟!

كيف أُخُذت ... وكيف توجهتُ أنا إلى هناك ؟؟!

كيف علمت أنها هنا ... ؟؟!

لا أعرف ... فلم يمن لديَّ عقل يستطيع أن يجد إجابة لكل ما اختلج في الذهن من تساؤلات كثيرة ... لقد توقف العقل وتركني مشدوهاً ... ومذهولاً أمام رؤيتها الآن ... وبعد عشرين عاماً من الغياب .

أجل ... لقد كنتُ مشدوهاً ...

على الرغم من أن الوقت كان ظهراً كما قلت ... والشمس ساطعة ... إلا إنني شعرتُ أنَّ لوناً رمادياً باهتاً كان يغلف كلَّ شيء ... وقد أرجعت ذلك إلى ذهول المفاجأة .

انتظرتُ في الردهة المؤدية لمكتبها لحين انتهائها من عملها ، حيث ظهر مدى انهماكها فيه ، لدرجة أنه خُيِّلَ إليَّ أنها لم ترنِ ، أو لم تشعر بوجودي ...

على حائط غرفة المكتب تدلَّت يافتة خشبية صغيرة – ربما كانت من الورق المقوَّى – وقد حالت الأتربة والغبار المتراكم عليها دون معرفة لونها الحقيقي ، أو ما الذي كان مكتوباً عليها ... وإن كان يبدو عليها أنها كانت ذات لون رمادي باهت ... تماماً مثلها مثل باقي الأشياء التي لفها هذا اللون واصطبغت به .

ألحَّ عليَّ خاطر غامض ... لا أدري ما سببه ؟ كان يدفعني دفعاً ؛ كي أتحرك من مكاني صوب اللوحة أو اللافتة ، وإزالة تلك الأتربة الكثيفة التي تراكمت عليها ، ولأقرأ ما خُطَّ عليها من كتابة غير واضحة ، إلا إنني حين هممت بالتحرك من مكاني صوب تلك اللوحة أو اللافتة ، لاحظتْ هي ذلك فأسرعتْ – بطريقة ملحوظة – بإنهاء عملها ، ثم توجهت نحوي بسرعة ...

كانت مفاجأة لي ، غير متوقعة ... وإن كنتُ أترقب حدوثها ... ووقفتْ هي في مواجهتي ، وأخذتْ تقترب مني وفي عينيها نظرة غريبة .

أما أنا فقد تسمَّرْتُ فِي مكاني .

كانتْ لحظةً رائعة ... وإنْ غُلِّفَتْ بحوار الصمت ...

كانت لحظة رائعة ... توقَّف فيها الزمان ... وتلاشى المكان ... ووُجِدَتْ هي ... هي فقط ولا شيء سواها ...

إنها معي الآن ... بعد عشرين عاماً من الفراق والحرمان والألم .

أجل ... إنها معي الآن ... حقيقة ...

إن مشاعر الحب والحنان التي اجتاحتني في هذه اللحظة ، محالٌ أن تُوْصَف ... أو أستطيع شرحها ...

يا إلهي ...

عشرون عاماً ...

لمْ أقوَ على مصافحتها ... وأخذتُ أتأملها ... إنها كما هي ... لم يتغيرْ فيها شيء ... قوامُها ... كما كان من قبل ... فقط تغيرتْ تسريحة شعرها بعضَ الشيء ... نضارة وجهها كما هي ، رغم مرور عشرين عاماً ... قسماتها الحلوة ... لم تزل كالعهد بها ... لون عينيها الداكن المشوب بالحمرة الخفيفة ... ثم الشعر الأسود القصير ... الأهداب الطويلة السوداء ... الأنف الدقيق والنتوءات الثلاث الموجودة ما بين منبت الشعر وجبهتها الرقيقة البيضاء ... ثم الشفتان الرقيقتان والصوت العذب الذي كان دائماً مختنقاً بالشجن ... كل ذلك وغيره ... وجدته كما هو ... لم يتغير .

كيف ؟ ... كيف لم تترك السنون التي مرت أيَّ تغيير عليها ... ؟

قالت إنها سوف تسافر الآن ... وستعود غداً ... وسوف نلتقي غداً ... وسيكون هناك متسعاً من الوقت كي نقضيه معاً .

لم أقوَ على الكلام ... فقد كنتُ مشدوهاً ومأخوذاً ... وتركتها تتحدث ... وأخذتُ أتأملُ بعمقٍ في قسمات وجهها ... كنتُ أحاول أن أحفر في ذاكرتي صورةً لها – صورة مثل آلاف الصور المختزنة لديَّ ... وفي ذاكرتي – كنتُ أحاول أن أحفر صورة لها ؛ كي أستعين بها فيما بعد ، لو غابت عني مرة أخرى كما غابت من قبل ... ولكنها الآن معي ، ولن تغيب عن عيني أبداً ...

نعم ، لن أسمح بتكرار ذلك ...

نعم ، لن أسمح بأن تغيب مرة أخرى ...

يكفي ما حدث ... يكفي ما مرَّ بي ...

أين أنت يا عقلي ... ؟؟!

لقد لاحظت أنها ترتدي الفستان نفسه الذي كانت ترتديه منذ أكثر من ثلاثين عاماً ... ولم تكنْ حينذاك تتجاوز العاشرة من عمرها ... نعم ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ... إنه الفستان نفسه ... أنا أعرفه حق المعرفة ، ذو أرضية بيضاء ، وبه رسومات دائرية متشابكة ، ولونه أحمر باهت ...

هل هذا يعقل ... إن الفستان كما هو ... لم تستطع يد الزمان أن تغير من معالمه شيئاً ... لم تبهت ألوانه ... لم تَرِقْ أنسجته ... لم تبلَ مقاطعه أو ثناياه ...

كيف هذا ... ؟؟!

ربما كانت تختزنه طوال هذه الفترة وبالتالي لم ترتديه ... ربما ... ربما ... لا داعي لهذه الأسئلة والخواطر التي لا لزوم لها ...

ولكن ...

حتى لو كانت اختزنته طوال هذه الفترة، ولم ترتديه، وبقيَ على حالته... كيف لم يتغير مقاسه عن مقاس جسدها ، وقد كان منذ ثلاثين عاماً جسد طفلة صغيرة ...

جاء أحد الأشخاص إليها ووقف بجانبها ، ولم أستطعْ أن أتبين معالم وجهه جيداً ، واقترب منها ، وأسرَّ في أذنيها بكلماتٍ غامضة لم أستطعْ سماعها ...

وأومأتْ هي إليه برأسها مشيرةً له بالانصراف ... فانصرف ولكن في تردد .

ثم أومأتْ برأسها لبعض الأشخاص الذين يقفون في انتظارها ، ولكنها لم تتبادل معهم أيَّ حديث ...

قالتْ إنها ستسافر إلى القاهرة ... الآن .

القاهرة التي اختطفتها مني منذ عشرين عاماً ...

وقالت كلاماً كثيراً لم أعيه جيداً ... وقالت إنها ستعود غداً وستتصل بي تليفونياً كي نتقابل مرة أخرى ...

غداً ... ؟؟!

نعم ، غداً ...

وقالت رداً على سؤال ملح بدا في أعيني ، ولم تنطق به شفتاي " حاضر " ... ونظرت هي إلى آثار السنين التي ارتسمت على وجهي ، وقالت في رفق وهدوء :

" لقد تغيرت " .

واستدارت في هدوء ... وسارت ... وتركتني في مكاني أغالب حيرتي ... وألمي .

تمالكتُ نفسي وغادرت المكان أنا أيضاً ... مسرعاً ؛ كي أعدَّ العدة ؛ لأكون في انتظارها غداً كما اتفقنا ...

سرتُ خطوات عليلة ... لم أبتعد كثيراً حين تذكرتُ فجأة شيئاً فاتني أن أقوله لها ... ألا وهو أين سألقاها غداً ... إن الأماكن قد تغيرت الآن عما كانت عليه منذ عشرين عاماً ... وكذلك رقم التليفون الخاص بي قد تغير ... نعم ، يجب أن تعرف هي كل ذلك ...

عدتُ أدراجي مسرعاً ... يسبقني قلبي ... ويقفز إليها حنيني ... وتسارع إليها لهفتي ... وفي عودتي إليها أحسستُ أن هناك شيئاً غامضاً بدأ ينمو في داخلي ... شعوراً مبهماً كان خليطاً من القلق والتوجس والخوف والريبة ... انفعالات شتى غامضة بدت تنمو صغيرة ، ولكنها في لمح البصر تكاثرت وتعاظمت وأصبحت مثل خيوط العنكبوت وراحت تتشابك وتلتف حول تفكيري ... وتحاصره بشباك ، بطريقة عنيفة أصبحت تقلقني ...

ولكن لماذا الخوف والتوجس ؟؟ لماذا الريبة والقلق ؟؟

هتفت في ضعف وإعياء ...

لا شك أنها سوف تكون في مكانها لم تبرحه بعد ... ولن تكون قد انتهت من عملها ... بل ربما أنها ما زالت في الردهة ، في طريقها إلى الغرفة ؛ كي تأخذ حاجياتها من على المكتب .

لماذا الخوف ؟؟

قلتُ نفسي في تخاذل ...

هذه المرة لن تستطيع القاهرة ولا أي شيء آخر أن ينتزعها مني ، كما حدث منذ عشرين عاماً ... لن أتركها مرة أخرى ... سأحارب ... إنني الآن قوياً عمَّا كنتُ عليه من قبل ... وقد تسلحتُ بأشياء كثيرة ... لن أؤخذ على غرَّة كما حدث من قبل ...

لا ... لا ... لن يحدث هذا ... مهما كان ... لن يستطيع أحد ...

حتى القدر ... لن يستطيع أن يأخذها مني ... حتى الموت ... حتى الفناء...

نعم ... هذا مؤكد ...

حتى الموت لن يستطيع ... على الأقل سأجد جسدها في المكان نفسه ... وسألحقها بروحي ... نعم ... نعم ... لن أتردد لحظة ... ولن يكون هناك فاصل زمني بيني وبينها ... لا مكان ولا زمان ... وسنلتقي هناك سوياً بأرواحنا ...

نعم هناك ... بعيداً عن الأرض ... بعيداً عن البشر .

لا داعي للقلق أو الخوف ... إنَّ ما هُزمت أمامه من قبل ، لن يستطيع أن يصارعني اليوم ... سوف أقابلها ... وسوف أعانقها ، وسوف أقول لها ، وأسمع منها ... سأقول لها إن أشياءها الصغيرة لم تفارق جيبي منذ عشرين عاماً ، وإلى اليوم ... نعم ... نعم ...

نعم ، حتى الموت لن يستطيع ... سأهزمه ...

رحماكَ يارَبِّ ... إنني أهذي ...

ما هذه الأفكار الشاذة التي لا مبرر لها ...

سأجدها ... وهذا يكفي ... لا داعي لكل هذه الأفكار ... سأجدها ...

نعم ... سأجدها ...

مؤكد سوف تكون مكانها ...

انتهت المسافة فجأة ... ولكنها لم تكن في مكانها ...

كانت الرّدهة خالية ...

هذا طبيعي ... إنها بالداخل تلملم حاجياتها ...

كان الباب مغلقاً ... ولم يبدُ أن هناك أحداً خلفه ...

تلفتُّ في أرجاء الغرفة بعين مرتاعة ...

كان المكان خالياً تماماً ، ومغلفاً بالصمت الموحش ...

أين هي ... بل وأين ذلك الشخص الذي وقف بجوارها وتحدثت إليه ...

أين الناس ... أين الناس الذين أومأت هي إليهم ...

لقد رأيته ... ورأيتهم ... ورأيتها ... لم يكن ذلك وهماً بأي حال من الأحوال ... لم يكن ما رأيته حلماً ... لقد كانوا هنا ... وكان المكان ممتلئاً بهم ...

نعم ، لم يكن ما رأيته حلماً ...

إن الأحلام لا تأتي وقائعها بهذا الترتيب ، ولا بهذا الوضوح الشديد ، ولا بهذا التتابع المنتظم ... لقد كانت هنا ... وكانوا هنا ... بل إنَّ الرائحة العطرية التي كانت تفوح منها مازالت مشبعة لأرجاء المكان ...

أتراها اختُطِفت ؟؟؟

أقام ذلك الشخص الذي تحدَّث معها باختطافها ... ؟

لا ... لا ... محال ... كانت ستصرخ ... كانت ستطلب النجدة ... كانت ستستغيث بي ... وكنت سأخف إلى إنقاذها ...

هل قام ، أو قاموا بتخديرها ؟؟؟

غير معقول أيضاً ... لأنهم كانوا سيمرون بها من الطريق نفسه الذي كنت أسير به ، وكنت سأراها وأراهم ....

إذن ... كيف ... وأيـــ ...

توقفت تلك الأسئلة حين ترامت إلى ذهني همهمات خافتة وأصوات مبهمة مختلطة بوقع أقدام آتية من على بُعد ...

وأحسستُ بابتسامة باهتة على شفتي .

... آه ... ها هي ... لا شكَّ أنها معهم ... إنها قادمة ... ولم أستطع أن أتحرك من مكاني ... لا لزوم للحركة ، سوف تمر هي وهم أمامي بعد لحظة ، وستكون مفاجأة لها ...

ازدادت الهمهمات وضوحاً ... وقرع الخطوات علواً ...

ولكنهما كانا رجلين ... ولم يلمحاني ... ونظرا معاً إلى الباب المغلق ، ولم يراني أيّاً منهما .

منذ متى تقريباً ؟

قال أحدهما للآخر ... الذي أجابه وهو ينظر للافتة الخشبية ...

ربما منذ عشرين عاماً ... أو يزيد ... لست متأكداً من ذلك الـ ... وضاعت باقي الكلمات بابتعادهما عن مكاني ...

تراءت لعيني تلك اللافتة المدلَّاة بجانب الباب ، وتذكرت أني كنت أحاول منذ برهة أن أمسح عنها الغبار كي أقرأ ما كتب عليها ...

كانت هناك كلمات مكتوبة بالمداد الأسود على أرضية اللوحة الخشبية ، وكانت الكتابة واضحة بعض الشيء لدرجة أنني لم أجد داعياً لمسح ما علق بها من غبار وأتربة ...

" مغلق "

" ١٩٧١ "

نظرت إلى اللوحة مرة أخرى ... وثالثة ... ورابعة ...

كانت الكلمات المكتوبة عليها تزداد وضوحاً ولمعاناً أمام ناظري وبطريقة غريبة ...

" مغلق "

" ١٩٧١ "

أرخيتُ بصري في يأس ...

لقد تلاشى الوهم ...

كيف حدث هذا ... ؟

كيف لم أفطن لهذا ...

كيف لم أفكر في هذا ...

على أي حال ، ليس هذا وقت التساؤلات التي لا مبرر لها ...

لقد قالت إنها سوف تأتي غداً ...

لماذا تضييع الوقت فيما لا طائل من ورائه ... ؟

مازال أمامي الكثير يجب عليَّ إنجازه قبل حضورها ، إعداد المكان ... الملابس التي سأرتديها ... الكلمات التي سأهمس لها بها ... اختيار المشروب الذي تفضله ...

أشياء كثيرة ...

نعم ... نعم ...

أشياء كثيرة ...

إنها قالت غداً ...

ولكن ...

إذا لم تأتِ غداً ؟؟؟

ستأتي بعد غدٍ ...

وإذا لم تأتِ بعد غدٍ ؟؟؟

ستأتي بعد أسبوع ... بعد شهر ... بعد عام ... بعد أعوام ... بعد عشرين عاماً أخرى ...

لقد قالت ذلك ...

وأنا سوف أنتظر ... في أي زمان ...

والمكان ؟؟؟

آه ...

لا يهم ...

أنا أعرف مكاناً كان يضمنا من قبل أنا وهي ...

منذ عشرين عاماً ... لم يتغير .

سآوي إليه ...

وسأنتظرها فيه كما كنت أفعل ، إما غداً ... وإما ...

بعد عشرين عاماً أخرى ...

وسأكون هناك ...

في المكان المعهود .

*** تمت ***

سبتمبر ١٩٩١ م

الشبح والمحامي

حين فتحتُ البابَ ووَلجَ صديقي فتحي إلى داخل الشقة في سرعة خارقة وذعر شديد ، أحسست أنه ربما كان مطاردًا من كافة وحوش وكواسر الدنيا بأسرها .

كانت الساعة الخامسة فجراً ، حين صكت أذناي وقع ذلك القرع الشديد والمتواصل على باب شقتي والمقترن بالرنين المستمر لجرس الباب مما أفزعني بشدة ، كذلك فإنه وبجانب أمارات الخوف ومخايل الفزع المرتسمة على وجهه وقسماته ، رأيت أن أول ما فعله عقب دخوله أنه قام بإغلاق الباب خلفه وبطريقة هستيرية وأسقط المزلاج في القفل ، حتى يتأكد أنه من المحال فتحه أو اقتحامه بأي صورة من الصور .

ولم أعرف ماذا أفعل... ولم أدرِ ماذا أقول أو ماذا أسأله .

فتحت فمي مرة ... أو أكثر ... ولكني لم أقوَ على إخراج كلمة واحدة .

وبدت عدوى هذا الذعر الذي يتملكه ، تسري إليَّ أنا أيضاً ، مما جعلني أسقط على أقرب كرسي وأتهالك عليه وأتركه يقف بمنتصف الصالة ، بدون كلمة ترحيب أو حتى الاستفسار عما به ...

حتى الإشارة باليد أو التساؤل بالنظر لم أقوَ عليهما .

إلا إنني أخذت - بصعوبة بالغة - في استجماع حواسي الآبقة وأعصابي الشاردة ، حين رأيت أن أمارات الفزع والذعر أخذت في الظهور عليه من جديد ، مما خشيت معه أن يصاب بحالة انهيار عصبي ،

ومن ثم يبدأ في الصراخ الهيستيري ويتسبب في إيقاظ زوجتي التي كانت تغط في نوم هادئ عميق ، سألته وأنا أحس بجفاف شديد في حلقي ...

هوَّ ... هوَّ ... هوَّ فيه إيه؟ فيه إيه بالضبط؟

ولم يجبْ على سؤالي مما دعاني إلى تكرار السؤال ، رغم صعوبة ذلك عليَّ ، ولم أتم كلماتي ، فقد راح كمن تقمصته آلاف الشياطين وسارع إلى باب الشقة وفتحه ونظر منه يمنة ويسرة ، ثم أعاد غلقه أكثر من مرة ثم أسرع وبطريقة هيستيرية واضحة وفتح نافذة الصالة ، الأمر الذي أيقنت منه أنه لا محالة سوف يلقي بنفسه منه ، ومما زاد من فزعي أكثر ، أن شقتي تقع بالطابق السادس ، مما يجعل نتيجة هذا التصرف مؤكدة ومعروفة سلفاً .

قيدتني المفاجأة ... وعقلت لساني عن النطق ، فلم أستطع لا التحرك لمنعه من الانتحار أو على الأقل أسديه النصح بأن الانتحار محرم شرعاً وقانوناً... وكل ما استطعت فعله هو الابتهال إلى الله أن يهدئ من هذا الهوس الذي مازلت أجهل بواعثه .

مِن حُسْنِ الحَظِّ أن فتحي أغلق النافذة بعد أن نظر منها ... ثم قام بإسدال الستارة عليها ، وأعقب ذلك – ومن نفسه – وبدون أن يسألني ، وأطفأ نور الصالة وترك ضوءاً خافتاً كان يشع من مصباح صغير .

ونظر مرة أخرى من خلف النافذة ... ثم قال في لهجة مرتعشة .

تعالى ... تعالى بسرعة .

هرعت إلى جانبه ، فأشار إلى الشارع الذي كان ينعم بالهدوء وانعدام المارة .

- فيه حد ...؟

- حد ... حد مين ... الشارع فاضي ... مخلوقات ... مخلوقات ربنا كلها نائمة .

قال وبصوت ظهرت به بوادر التماسك قليلاً رغم رنة الخوف في نبرته :

- أتأكد ... أتأكد على وجه اليقين .

- مؤكد ... ولكن ماذا ... ماذا حدث .

أجابني وقد ازدادت نبرات صوته ارتعاشاً وتلعثماً :

- أنا ... أنا ... أنا قتلت ... قتلت مراتي ... لا ... لا ... لا ، لم أقتلها ... لم أقتلها ... أنا رجعت روحها إلى خالقها لا ... لا ... ليس بالضبط ... أنا صرعتها ... أنت تعرف أني بطل الجمهورية في المصارعة الروماني ... لكني ... لكن ... المهم أنا قتلتها ... قتلتها بيديَّ ... ليس بسكين أو مسدس أو بواسطة السم ... لا ... لا ... قتلتها لا ... لم أقتلها ... ليس بالضبط ... المهم أن ما حدث كان بصورة ...

حين رأيت أن بوادر المس أو الانهيار ستعاوده من جديد أخذته وأجلسته بعيداً عن النافذة ...

- اهدأ ... اهدأ ... اهدأ ، واحكِ لي عما حدث .

الموضوع بسيط جداً ... أنا حصل ...

إلا إنه نهض فجأة ، بطريقة مذعورة وأخذ ينظر من خلف الستارة .

- اهدأ ... اهدأ علشان نفكر صح ... هل قام أحد بالإبلاغ عن القتل؟ هل شاهدك أحد وأنت تقوم بقتلها ... الشرطة في أثرك ... الجيران سمعوا صراخاً أو عويلاً ؟؟ دعنا نفكر صح ... ازاي نطلب محامي وازاي هاتعترف للشرطة ... والعقوبة هاتكون إعدام ولَّا ...

نظر فتحي في بلاهة شديدة ، وقد ازداد ارتياعه وخوفه إثر كلماتي وقال في بطء ثقيل :

- بوليس ... شرطة ... اعتراف ... إعدام ... محاكمة يا أخي افهم ده احنا دائماً بنقول عليك أنت المخ وأنا العضلات .

وانتابته نوبة فزع هائلة ومفاجئة ، جعلته يمسك بيدي ويتشبث بها كمَن يحاول النجاة من هوة سحيقة .

- طيب ... أرجوك اهدأ ... أنا ها اعدلك فنجان قهوة علشان تهدأ ... وكل الأمور سوف تتحل ... ولكن فقط اهدأ حتى لا تتسبب في إيقاظ زوجتي وتزيد الأمور تعقيداً .

- أولاً ... هل رآك أحد وأنت في طريقك إلى هنا ...؟

- لا لست متأكدًا ... ممكن آه ... وممكن لا ...

- آه !!!

وتركته كي أعد القهوة وأنا أختلس النظر إليه مخافة أن يقوم بارتكاب شيء مفاجئ .

وفي الحقيقة لم أكن أرغب في عمل القهوة له ، ولكن أردت أن أعطي لنفسي فسحة للتفكير في التصرف المناسب الذي يتعين عليَّ أن أقوم به ... كنت أعلم أنه وزوجته كانا يتسابقان منذ فترة طويلة على مَن منهما سوف ينهي حياة الآخر قبل الثاني ، بالقتل أو الذبح أو الخنق ، ودون أن ترهق تفكيرهما فكرة العقاب أو رد الفعل ... وكان دائماً يؤكد لي بأنه سوف يأتي اليوم الذي سيقتل فيه زوجته ويريح نفسه ، بل والعالم كله من شرورها ، أما أنا ... فإنه وبرغم اقتناعي التام بصدق كلامه من الناحية الموضوعية ... ألا إنني وبصفتي الصديق الأوحد له ، فقد كنت دائماً أقول له مادامت هناك جريمة سوف ترتكب ، فسوف يكون هناك العقاب المناسب لها ولا يهم الباعث على ارتكاب الجريمة سواء أكان الباعث نبيلاً أم لا ... وأنه لا ضرورة تجعله ينال عقوبة الشنق بسبب هذا التصرف رغم أني كنت أعلم علم اليقين ، أنه وبحكم الحياة وسنن الكون ، بأن قتل الزوجات دائمًا وأبداً تكون خلفه بواعث نبيلة ، إلا إن فكرة القتل وإزهاق روح إنسان أيّاً كان ما يسببه لنا من ألم وتعاسة- كانت دائماً تبدو لي فكرة مخيفة ومخالفة للشرائع السماوية والوضعية ، إلا في حالة ما إذا نجحنا بوسيلة ما في ترتيب الأمور بطريقة تجعلنا نتفادى حبل المشنقة .

وها هو الآن ، وقد قتل أو ذبح أو خنق زوجته ، فإذا ما دعيت للشهادة ، فماذا سأقول ؟ علماً بأن شهادتي سوف تكون مصدر الإدانة الدامغة على جريمته ، بل أكثر من ذلك فإنَّ كلماتي سوف تكون قرينة على

استجلاء نية سبق الإصرار والترصد لديه في ارتكابه للقتل ... أنا لن أنكر ما قاله لي من قبل وفي أكثر من مناسبة ، بل إنني سأقر أنني في إحدى المرات حين سألني عن أسرع وسيلة لقتل زوجته : أجبته مسرعاً ... خنقها ... خنقها حيث إن أصابعك قوية وساعديك فولاذيين من جراء تدريباتك اليومية على المصارعة منذ طفولتك ، أو حملها وإلقاؤها من فوق عمارة شاهقة ؛ لأنها ستكون أخف من الريشة بين ساعديك ... وقلت له إن الطريقة الأخيرة قد لا تكون ناجحة مائة في المائة ، لأنه من الممكن أن لا تموت ... وكنت دائمًا أنهي هذا النقاش معه بالآتي : أخقنها ... أخنقها وهذا سهل عليك ... فقط فكر في الإعدام قبل ما تأخذ القرار النهائي في فعلتك هذه التي سيراها القانون جريمة بشعة ، بل قد يصفها بالعمل الإرهابي ، بينما ستكون أنت في نظر الكل قد قمت بعمل مشروع للدفاع عن نفسك ... أو على الأقل أنك اخترت خيار المقاومة والاستشهاد لكن للأسف ... القانون هو الذي يحاسبنا على أفعالنا ، وليس الرأي العام العالمي ...

حبل المشنقة هو الذي سوف يحسم الأمور ، وليس هتاف المعذبين في الأرض ، كلمة القاضي فوق منصة العدالة ، وليس رأيي أنا أو مشاعري الصادقة ... إذن ... ومادام ذلك كذلك ، فيجب إبلاغ الشرطة ... وأنا استعد لتقديم شهادتي سواء معه أم ضده ... ينبغي أن تكون الشهادة خالصة لوجه الله .

وإذا لم يحكم عليه بالإعدام ، وعوقب بالسجن فقط ، فيجب عليَّ أن أتولى زيارته في محبسه ... إذن في كافة الأحوال يجب الإسراع والتوجه إلى الشرطة قبل أن تقبض عليه في منزلي وينسب إلى ارتكاب جريمة إيواء فار من العدالة ، ولكن يجب أيضاً وقبل كل شيء استشارة محامي مختص في هذا الشأن ... حملت أفكاري في رأسي وصينية القهوة في يدي وسرت في خطوات متئدة مخافةَ أن أزعجه فتعاوده نوبة الهيجان من جديد ، وقلت :

- لابد أن نتصل بالأستاذ أحمد الجيار المحامي ، ونحيطه علماً بما حدث ، ثم نتوجه بسرعة قبل اكتشاف الجريمة إلى قسم المطرية وتعترف بجريمتك ؛ كي تكون هناك أوجه لتخفيف العقوبة عنك .

نظر إليَّ فتحي في هلع وعدم تصديق .

- نعم ... من الأفضل التوجه للشرطة ؛ لأنها في كل الأحوال ستلقي القبض عليك ... وهاتاخد إعدام ... لا ... لا ليس بالضرورة إعدام ... ممكن ... ممكن سجن مدى الحياة ... لا ... لا ممكن تنال البراءة أنا أعرف ... لا ... أنا متأكد أني قرأت عن حادث كان الجاني فيها قد قتل زوجته تماماً مثلما فعلته أنت- خنقها ووضع جثتها في ملاءة السرير وأثقلها بكمية من الحجارة، ثم ألقاها في النيل ولما اعترف بجريمته ، عاقبته المحكمة بحبس سنة فقط مع إيقاف التنفيذ ... لأن المحكمة رأت أنه نال من

العقاب على يد زوجته بما يكفيه طوال عمره ، فلم ترَ داعياً لزيادة عذابه وكان المحامي الذي قام بالدفاع عنه هو صديقي أحمد الجيار ، الذي أورد في مجال دفاعه عنه ، أن الزوجة القتيلة ، وقد دأبت وبطريقة منظمة على دفع زوجها إلى إما أن يقتلها أو يقتل نفسه ... فإذا كان الانتحار كان سيكلفه حياته وبالتأكيد ؛ لذا فلم يكن أمامه إلا اختيار الطريق الثاني- أي قتلها- وهذا هو ما مهدت له زوجته ودفعته نحوه دفعاً ... وقد أشيع في قاعة المحكمة ساعة مرافعته أن هيئة المحكمة كانت تنظر نحوه في إعجاب شديد ، بل ورجته أكثر من مرة الإطالة في مرافعته أمامها والتي امتدت نحو تسع ساعات متصلة ... بل وقد قيل أيضاً أن أحد أعضاء هيئة المحكمة مال على الزوج المتهم والمحامي معاً ، وأقسم لهما أنه سوف يقضي له بالبراءة حتى ولو عادت الزوجة إلى الحياة مرة أخرى وقتلها ثانية .

- يا أستاذ المسألة ليست هكذا ... أنا حضرت إليك كي أختبئ في شقتك ، وليس لكي أعترف وأسلم نفسي .
- مفهوم ... مفهوم ... ولكن حتى في هذه الحالة ، يجب الإسراع في إبلاغ الشرطة والمحامي أيضاً .

نظر إليَّ فتحي نظرة بلهاء ممزوجة بالألم ، حيث اعتقد أني أتخلى عنه .

قلت :

- على ما تشرب القهوة أحاول أطمئن على زوجتي نائمة أم لا ... ؟

وتركته يعاني ألمه وخوفه ... وفي الحقيقة فإني قد ذهبت إلى غرفة النوم، وطلبت الأستاذ أحمد الجيار المحامي ورجوته أن يأتي حالاً ، وأفهمته أن المسألة – مسألة حياة أو موت .

وعدت إلى فتحي الذي كان قد هدأ أكثر من ذي قبل .

- احكي لي عما حدث ... كيف تمت عملية القتل ... ذبحتها ؟ خنقتها ؟

ولماذا ساعة الفجر أو لم يكن النهار أنسب لك في قتلها .

حاول فتحي مقاطعتي في عنف وانفعال شديد .

- يا أخي أفهم ... أنا لم أحضر كي أسألك عن عنوان أقرب قسم للشرطة – أنا عاوز استخبي فقط .

- إذن لنحاول أن نعالج الأمر في هدوء ... ولكن أنبهك إلى أن احتمال أن بائع اللبن يطرق الباب ؛ لأن هذا موعده فلا تنزعج – وكنت أقصد بهذه الكذبة أن أهيئ له الأمر حتى لا يفزع حال حضور المحامي ... وبالفعل حين حضر الأستاذ بعد خمس دقائق من اتصالي به ، كانت جوارح فتحي مهيأة – لا لتقبله ، ولكن على الأقل لعدم الانزعاج من حضوره ... خصوصاً أنه جاء بملابس النوم .

- خير ... ما الذي حدث كي تستدعيني في هذا الوقت ... تساءل المحامي :

- لا شيء ... لا شيء ... فتحي صديقي ... لا ... لا ده قريبي أيضاً ... وله مشكلة بسيطة وحلها عندك أنت .

لكن المشكلة أنه ربما يكون لا يريد .

حاول فتحي مقاطعتي أكثر من مرة ... إلا إنني لم أعطه فرصة لأن يتكلم واسترسلت :

- المسألة أن فتحي قتل زوجته من حوالي نصف ساعة فقط ... يعني حتى الآن لم تصل روحها إلى خالقها بعد ، مازالت في الطريق إليه .

- بالطبع الأستاذ فتحي خنقها .

قال المحامي تلك العبارة في بهجة مؤكدة ... مما جعلني أنظر إليه مستفسراً .

لأنه لو كان ذبحها بالسكين ، لظهرت على يديه وعلى ملابسه آثار دمها الثقيل واضحة وجلية ولو كان ضربها بمسدس ، لكانت الشرطة تبعته إلى هنا بأسرع من حضوره إليك ... ولو كان قد قتلها بدس السم لها في كوب شاي ، فإن ذلك لم يكن سيجعله يشعر بهذا الخوف والفزع من مفاجأة القتل ؛ لأنه كان سيمكث أمامها كي يرى أثر سريان السم في عروقها ، وبالتالي فإنه سيكون أكثر هدوءاً حيث كان سيرى نتيجة فعلته

ولا يفاجأ بها ، وأيضاً فإن الزوجات في هذه الأيام يحتطن لما يقدمه لهن أزواجهن من مشروبات ويقمن بجعل الزوج يرتشف رشفة منها قبل أن تتناوله هي ، وإذا كان قد قام بإلقائها من على سطح العمارة لكنت لاحظت أن المارة والشرطة قد أحاطت بالعمارة كلها ... ولكن الشارع مازال يغط في الهدوء حتى الآن ، وكذلك فإني أرى أن ساعديه وقوته الجسمانية الواضحة تجعله يختار طريقة الخنق ؛ لأنه أسهل له في تنفيذ جريمته .

نظرت أنا بإعجاب وإجلال إلى الأستاذ أحمد الجيار على ذكائه المتوقد، ونظرت إلى فتحي كمن أقول له ... ألم أقل لك .

كما أنه بيني وبين نفسي- وهذا هو المهم- شعرت براحة وطمأنينة حيث إنه من الممكن الاستعانة بالأستاذ في أحداث مماثلة تحدث لي مستقبلاً وأكون أنا بطلها الوحيد .

أما القاتل- فتحي – فقد أخذ ينتقل بنظرات زائغة بيني وبين المحامي في زهول وعدم تصديق ، ثم تحجرت نظراته حين فاجأه المحامي بهذا السؤال .

أول مرة ... ؟؟

أول مرة ماذا ..... !!

أول مرة تقتل فيها زوجتك ؟؟

نظر إليه القاتل نظرة مَن استغلق عليه الفهم .

لا ... لا ... السؤال بهذه الطريقة غير واضح وغير مريح ، أنا أقصد أول مرة تقتل فيها أحد .

وعلى حين فجأة دق جرس الباب ، مما جعل فتحي يهب في ذعر ويختبئ خلف أحد المقاعد .

قال المحامي في ثقة وتعالي :

- لا تخف ... لا تخف ... هذه الشرطة ، حضرت للقبض عليك ... أرجو ألا تتكلم أو تجاوب على سؤال إلا من خلالي أنا فقط ... والتفت إليَّ مستطرداً : وأنت أيضاً غير مسموح لك بإبداء أية آراء أو تفصيلات أو شرح إلا عن طريقي أنا ، فقط تخبرهم أنك وفتحي كنتم في الطريق للاعتراف .
- مفهوم ... مفهوم يا أستاذ ... مفهوم طبعاً .

أما فتحي ، فقد كان يقف ربع وقفة وهو بادي الارتعاش والتعاسة .

- تماسك ... تماسك ... الموضوع ليس كبيراً بهذه الدرجة ، كما أنت فاهم ...
- أنا فاهم يا أستاذ ... فاهم ... المسألة إن حضرتك غير مدرك للظروف التي ...

نطق فتحي بهذه الكلمات في تلعثم شديد بعد أن قطعها إلى حروف متناثرة ولم يتمها ... وازداد انكماشه وتكوره خلف المعقد ، مما جعلني أصاب بحرج شديد أمام المحامي .

توجهت إلى الباب وأنا أرتب ما سوف أقوله للشرطة ... وكان مزيجاً من تحذيرات المحامي وما انتويته أنا حين كنت أقوم بإعداد القهوة قبل حضوره ...

وفتح الباب ... بل وأحسست أنه كاد أن ينتزع من مكانه انتزاعاً .

وهالني أن أرى أمامي على عتبة الباب ، وفي الضوء الخافت المنبعث من باب المصعد المتوقف أمام الشقة .

ويا للهول ...

كانت زوجة فتحي .

أو ربما روح زوجة فتحي .

أو على الأرجح شبح زوجة فتحي متشحة بالسواد الكامل ، وممسكة في يدها بهراوة غليظة من الهراوات التي يستخدمها رجال الشرطة في مطاردة عتاة المجرمين .

ولما كنت أوقن أن الأشباح أو الأرواح أو العفاريت ، لا تبالي بالشكليات من ترحاب وكلمات المجاملة ؛ لذا فقد نحيت نفسي من أمامها كي تدلف هي إلى الداخل مباشرة .

وبالفعل دخلت السيدة ذات الرداء الأسود أو الروح اللاشفافة أو الشبح القاتم السواد ، وقصدت إلى حيث يجلس الأستاذ أحمد الجيار عبد الباسط المحامي وجلست أمامه في هدوء شديد بينما تناول هو البايب

الخاص به ووضعه في فمه مستخدماً إياه بطريقة لا تخلو من العصبية الشديدة ، مما جعل البايب يحدث صوتاً مثل صوت غليان الماء المكتوم .

تصاعدت من فوهة البايب جذوة صغيرة من النار ... توهجت ثم سرعان ما انطفأت ولم تنطق الروح أو الشبح إلا بكلمة واحدة ، ولكن في صوت كالفحيح :

- أين هو ... ؟؟

ولأن صوتي كان قد احتبس بداخلي تماماً... وأيضاً ولأني لم أشأ أن يعرف فتحي أنني أنا الذي أرشدت عن مكانه ، فإني قمت بسرعة بإمساك يد الشبح في رقة متناهية ... وأشرت لها على مخبأة .

فوقفت ، وقد وضعت الهراوة في وسطها ، حيث تدلت كأنها سكين القصاب وقامت بهدوء من مكانها ، وقصدت إلى حيث يختبئ فتحي ، وقالت بصوت وضح من نبراته أنه يصدر من سواها :

- قوم ... في ظرف خمس دقائق تكون تحت أمام باب العمارة ... أنا في انتظارك بعد أربع دقائق ليست خمساً ولا ثلاثاً ... مفهوم ... تدخل دورة المياه في دقيقة وتنزل في دقيقتان ... وتودع هؤلاء في دقيقة .

واستدار الشبح في خطوات متزنة وغادر المكان وابتلعه الظلام دون أن يلقي بالاً لنا ، بل وكأنه لم يرنا .

بالطبع فنحن بالنسبة لعالم الأرواح لا نراها ولا يروننا .

وفي ذعر شديد ممزوجٍ بالخوف والألم وسكينة الرضوخ وتعاسة الامتثال ، وقف فتحي وتوجه إلى دورة المياه لتجفيف ما ابتل من ملابسه ، ثم غادر المكان في آلية واضحة وتركني أنا والأستاذ أحمد الجيار نعاني من حيرة شديدة ، وقد خُيم علينا بسكونٍ ...

وبعد حوالي ربع الساعة على حالتنا هذه دق جرس التليفون .

بادرني فتحي قائلاً :

أولاً : أشكرك على موقفك الذي احترت في تسميته ، هل هو تصرف نبيل أم تصرف غير أخلاقي .

ثانياً : أشكرك على أنك عرفتني بهذا النابغة ذي الفكر الثاقب الذي يجعله ينتهي إلى النتائج مباشرة دون أن يقرأ مقدماتها .

ثالثاً : ... ما حدث وما استغلق على فهمك أنت والمحامي الذكي ، كان على النقيض تماماً مما تصورتموه ، ما حدث أني حاولت أن أقتل زوجتي أثناء نومها ، وأعددت عدتي لذلك من كل النواحي . أغلقت غرفة النوم عليها وفتحت الراديو بصوت عالٍ حتى لا يسمع أحد صراخها . وشرعت في خنقها بيدي القويتين وبعد أن تدربت كثيراً على هذه الطريقة ، وبعد أن أطبقت على رقبتها ولم يتبقَّ إلا ثوانٍ وتفيض روحها إلى خالقها إذا بها تنتفض أمامي فجأة وتقف في منتصف السرير في تحدٍّ شديد لم أجابه حدوثه من قبل في أية حلبة من حلبات المصارعة ، ثم وجدتها تقوم بمقاومتي ومصارعتي وبطريقة ضارية ، مما جعلني أفر

مذعوراً وأحضر إليك وكان ما كان ... على العموم الموضوع انتهى ، والأمر لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات المقاومة من أجل التغيير أو جولة من جولات المصارعة الحرة قبل أن يفوز أحدنا بالضربة القاضية .

وأغلق السماعة في وجهي بعصبية شديدة .

ومبكراً في اليوم التالي جاءني صوت الأستاذ أحمد الجيار عبر الهاتف قائلاً :

- اسمع ... فتحي مات اليوم ... مات الساعة السابعة صباحاً ... زوجته هي التي أبلغت الشرطة ، وأبلغتني بذلك وقالت أنه حاول أن يقوم بخنقها بيديه القويتين ، ولكن في محاولة يائسة منها وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة بلحظة ، تناولت سكينة حادة كانت تضعها بالقرب من فراشها وغرستها في قلبه ، مات على الفور ... وأرجو أنك لا تتحدث أو تدلي بأي شهادة أمام الشرطة إلا من خلالي أنا فقط ... مفهوم .
- مفهوم ... مفهوم ... وبالطبع سوف نتفق أنا وسيادتك على ما سوف نقوله ... ولن نشهد إلا بالصدق .
- بالطبع ... بالطبع ، فليس لنا مصلحة في إخفاء الحقيقة ، حتى ولو كانت لصالح الزوجة التي وقفت موقف الدفاع الشرعي عن نفسها ، وأنا بصفتي محامي الزوجة سأشهد بما سمعته في

محادثة فتحي الأخيرة في منزلك بأنه حاول خنقها ... والباقي معروف .

- والعقوبة ؟!

سألته في وجوم ... بالتأكيد سوف يكون الحكم لصالحها وبالبراءة المؤكدة ؛ لأنها كانت في حالة دفاع شرعي عن النفس ، طبقاً للمادة رقم ... من قانون العقوبات ، وسوف نؤيد موقفها ، أنا بمرافعتي وأنت بشهادتك من خلال ما سمعته من زوجها قبل وفاته ... على العموم يوجد احتمال توجيه اتهام لك بأنك علمت بشروع فتحي في قتلها من قبل ولم تبلغ عنه .

- والعقوبة ؟

سألته في اكتئاب ...

العقوبة

ليست شديدة ، ثلاثة شهور حبس أو ستة ، لكن المهم أن تلتزم بكلامي بالكامل .

- مفهوم ... مفهوم ... وواضح ، ولكن الذي لم أستطع أن أفهمه هو كيف ؟

- ليس من الضروري أن تفهم شيئًا ... لأن الفهم قد يكون سببًا في إدانتك بعقوبة أكبر ...

بالروح ... بالدم

مقدمة

لاشك أن هناك أفكاراً وتخيلات عبيطة ، ولكن لا نستطيع أن ننكر أن هناك أفكاراً وتخيلات أكثر عبطًا وحمقاً .

الفصل الأول

ينبغي التخلص منه بأي صورة من الصور ... الوسيلة لا تهم ، الطريقة لا تعنيني ... الخسائر ومقدارها ونتائجها ، لن أتوقف كي أحسب حسابها ، بل ولن تثنيني عن عزمي النهائي ... المهم النتيجة ... وبسرعة .

هذا ما استقر عليه رأيه ، وبعد تفكير عميق أرقه وأمضَّه ليالٍ وشهور طويلة ... ينبغي التخلص منه ... بالحرق ... بالقتل ... بالتدمير بالهدم المادي أو المعنوي بالنسف ... لا يهم ... المهم أن ينتهي وجوده من هذه الدنيا ... بل ومن الآخرة لو أمكنني ذلك ...

إن وجوده بات يؤرقني ... وشهرته المستطيرة أصبحت تصيبني بحالة مرضية غريبة لا أدري ما أعراضها ، ولكن أحس بها وأشعر بأنها باتت تتغلغل في جسدي وتفت في روحي وكياني .

إنه يمتلك ويملك أشياء كثيرة قد تضاهيني وقد لا تضاهيني ، ولو وضعته في كتفيّ ميزان أمامي ، فربما كانت كفتي هي الأرجح بكثير أو بقليل ، لا تهم النسبة ، ثروتي لا تقدر بمال ... نفوذي لا يستطيع أحد أن يوصف مداه ... مدة حكمي وإنجازاتي في كافة الميادين والأماكن تجاوز بل وتزيد عن مدة حكمة ، أنا على رأس الدولة أحكم وأتحكم في كل شيء ... أما هو ... فإنه وبالرغم من كونه أحد الملوك السابقين الذين

اعتلوا عرش البلاد ... فإنه لا يعدو أن يكون ملكاً سابق ... والعالم تمتلئ أرجاؤه بالملوك ورؤساء الجمهوريات السابقين والأسبق .

هو وإن كانت تذكره الصحف في بعض عناوينها ، أما أنا فالصحف والمجلات والمحافل ووسائل الأعلام الصوتية والمرئية والمسموعة والمحسوسة تنطق باسمي صباحاً ومساءً وظهراً وعصراً وفجراً ولا تتوقف ، ولن تتوقف عن ذكره والنطق باسمي ... كل ذلك صحيح ... ولكن الصحيح أيضاً أن وجوده أصبح مقلقاً لي ويذكي بقلبي شعورًا بالغضب ... لدرجة أني اليوم وربما بالصدفة المحضة أثناء سير موكبي المهيب وحولي وزراء الدولة ورجالاتها طالعني محياه ، حيث كان يقف في الطريق ، فأشحت برأسي إلى الناحية الأخرى ؛ كي لا يقع ناظري عليه وأراه وهو يرنو إلى موكبي الضخم والفخم .

شعوراً لست أدري لماذا وكيف تملكني .

وربما أنه هو أيضاً واتته هذه الفكرة ... فكرة أن يتخلص مني ... ربما ... وربما لا ... ولكن المؤكدة أنه لم يشرع في تنفيذه فكرته في التخلص مني حتى الآن ، وإلا فإن أجهزة مخابراتي كانت سترصد هذه البادرة منه .

على العموم تلك الفكرة لم يبلغني بها أحد بعد ، ولذا فإني أستبعد تفكيره في أن يتخلص مني ، فهذه الفكرة تبدو خيالية ومستحيلة التنفيذ ... أو حتى الإقدام عليها ، فإن لي حرساً وجنوداً وعدتي وعتادي ... لي الجيش والشرطة والحزب وروافده والحرس الجمهوري

وفصائله ... والقوات المسلحة وفروعها ... أما الشعب فهو متقلب الأهواء .

كل ذلك بيدي ورهن إشارتي ... وهذا مما يجعلني أفكر أكثر وأكثر في التخلص من هذا الملك السابق أو الأسبق ... كي أطفئ لهيب الغيرة الذي يأكل روحي .

نعم ... ينبغي التخلص منه .

المسألة ليست صعبة ... والجريمة لن أحاكم عليها ... مَن ذا الذي سوف تواتية الجرأة ويطلب محاكمة ملك أو رئيس جمهورية على ما يقترفه إبَّان فترة حكمه إن قتل رجل واحد أسهل بكثير على الحاكم من قتل العشرات بل والمئات بل وأسهل بالطبع من قتل الشعب بأكمله .

ألم يتسبب نابليون ... وكان رئيساً لفرنسا في مقتل الآلاف من زهرة شباب فرنسا في معارك ؟؟ ألم يسقهم إلى حتفهم في سبيل مجده هو الشخصي ؟؟ نحن جربنا ذلك كثيراً ، بل ويصبح الأمر تافها جداً جدًا إذا ما قورن بما ارتكبه أصدقاؤنا من الملوك والرؤساء وأصحاب الفخامة والجلالة والسمو ، في هذا المجال – مجال القتل والتخلص من المنافس بأي صورة من الصور ... لقد اختفت قبائل ومدن وقرى بالكامل بسبب فكرة مثل هذه الأفكار ... أما أنا فالمنافس واحد وواحد فقط ، بل وإن قتله سيلقى من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة أكثر من تبرير

وأكثر من سبب يستوجب إزاحته ... بل وربما قاموا بإلصاق التهم لهذا الملك بأنه كان ينوي أو يفكر في إزاحتي أيضاً .

ولن تعدم تلك الوسائل الإعلامية أن تجد آلاف الأدلة والبراهين على صدق قولهم ... مؤكد ... الوضع سهل ... والتبريرات جاهزة وموجودة على الرفوف في انتظار مَن يتناولها من سدنتي وإذاعتها على الملأ ... فقط سوف يتم تغيير التواريخ والأماكن والوسائل كي تتناسب هذه الحالة مع ما يوجد لديهم من السيناريوهات المعدة سلفاً ومن قبل ... وسوف تهتف الرعية بالطبع بالروح بالدم ... إلخ .

الوسيلة ... وسيلة للتخلص منه ، سوف أترك اختيارها لوزرائي ورجالي المخلصين ولن أتباحث معهم في التفاصيل ... أنا أريد ... فقط ... وهم عليهم الباقي دون تدخل مني في الباقي ... حتى يسهل عليَّ في أي وقت التنصل مما حدث أمام الله وأمام شعبي ولن أطلع الكثير على ما أنتويه ، خمسة أفراد على الأكثر ممن أثق في ولائهم لي ، وفي مقدرتهم على القيام بمثل هذه العمليات الخاصة ، وكذلك أثق في حرفيتهم وكتمانهم ولن يكونوا ذوي صفة رسمية ظاهرة في الدولة ، بل من الذين يعملون خلف الستار ويحركون العرائس بالخيوط ... كذلك من الذين لي أيادٍ بيضاء عليهم وعلى أسرهم وذويهم .

لن أقول لهم اقتلوا هذا أو اسجنوا ذاك أو دمروا هؤلاء ... فقط سوف أعلن رغبتي ... لا ... ولا حتى الرغبة ... فقط سوف أظهر ضيقي

وحنقي وتبرمي من هذا الملك السابق وبشهرته المستطيرة ، وسوف أوعز لهم أنه بهذا يحاول أن يطغى بشهرته على شهرتي ... ومن ثم فهو يحاول انتزاع حب الجماهير والتفافهم حوله ، هذه أول خطوة له ... والخطوة الثانية أنه إذا امتلك حب الجماهير فإنه وبالطبيعة سوف يؤلبهم ضدي ...

قد تبدو الفكرة خيالية وصعبة التصديق ، ولكن رجالي سوف يصدقونها ، ولن يتشكك أحد في صحة كلامي ... سوف أقول لهم أول كلمة وسوف يفهمون مقصدي ويتصرفون في الباقي كما أريد تماماً وبدون أن أفصح ... وسوف تكون النتائج مبهرة وناجحة .

- لا شك في ذلك .
- نعم ، فأنا أعرف مدى ولائهم ومدى حرفيتهم في عملهم ... وأعلم أنهم قد يطلبون مكافأة ... وعلى استحياء بل وفي خجل ... ولكن هذا لا يقاس بما سوف أحصل عليه من راحة ورضا ... لن يطلبوا الكثير ... فقد انتهى عهد الإقطاعيات منذ زمن بعيد ... إنهم لن يطلبوا أكثر من رضائي عنهم ...
- فقط .
- لا بأس .
- ولو فرض – خيالياً – وطمعوا في شيء لا أريد إعطاءه لهم ... فالنتيجة معروفة .

- السجن ...

والاتهام موجود سلباً أو إيجاباً ... سلباً فهم في كافة الملك السابق وإيجاباً فهم الذين تآمروا على تدميره ولست أنا .

- ففي الحالتين هم خونة ... ولن تعوزنا حبال المشانق ... فلي صديق في اليمن على استعداد كي يمدني بعشرات الأمتار من حبال الشنق الجيدة ... وكذلك في ليبيا وسوريا ، وهم نِعْمَ الأشقاء في مثل هذه الظروف .

الفصل الثاني

حين قلت في بداية الاجتماع أنه يوجد مَن يتآمر على بغية أن يسرق مني ملكي ... تعالت أصواتهم جميعاً وفي نبرة واحدة وموحدة :

الموت للخونة أعداء الشعب .

أشرت لهم بالسكوت والإنصات ، واستطردت قائلاً :

- وقديماً قال كارل فيشر[1] : إنه ما بين القوة والتآمر خطوة واحدة يسهل اجتيازها في أي وقت من الأوقات قوطعت كلماتي وبنغمة واحدة وموحدة ليحفظك الله لنا ...

لن نسمح لكائن من كان أن يقوى ، ومن ثم يتآمر على شخصكم المصون

وهتفوا جميعاً بالروح بالدم ...

ووقف أحدهم في حسم وإيجاز شديد قائلاً :

- لتسترِحْ سيادتكم ، ولا داعي أن ترهق نفسك في التفاصيل أو المبررات والأسباب ... نريد اسمه فقط ، ونحن سوف نتولى الباقي ، ونقوم بالواجب نحو الوطن والمعتدي .

---

[1] هربرت كارل فيشر : ولد عام ١٧٨١ م ، وتوفي عام ١٨٣١ م ، وعمل وزيرا للمعارف في إنجلترا قبل الحرب العالمية ، وهو مؤرخ سياسي .

واستطردت قائلاً :

- إليكم الاسم – اسم هذا الملك ، وإن كنتم جميعاً تعرفونه جيداً فلا يوجد في بلادنا ملوك سابقين إلا ...

قوطعت مرة أخرى من أحدهم ...

- لا داعي للاسم ، فيكفي أنه ملك وأنه يريد إعادة الملكية البغيضة التي رفضها الشعب الكادح منذ عشرات الأعوام .

ونظرت إليه مرتاعاً ... وإن كنت بيني وبين نفسي قررت أن أعينه رئيساً للوزراء بعد العملية إعجاباً بفصاحته .

- نعم ، لا داعي للاسم ؛ لأن سيادتكم وضعتنا في حرج شديد إذ إننا وبهذا الشكل نكون قد قصرنا في أداء واجبنا حيث كان يجب علينا أن نكتشف عن هذه المؤامرة ، ونعرض على سيادتكم جذورها والقائمين عليها وبها ثم نزج بهم في غياهب السجون أو نعدمهم شنقاً أو خنقاً ثم نحرر لسيادتكم تقريراً عن الخونة والخيانة ...

- ولكن حدث أن سيادتكم بما لكم من إلهام عرفت بهذه المؤامرة قبل أن نعلم بها نحن ، ولكن نرجو أن توجد لنا العذر في هذا التقصير ، وعليه فإني أطلب من سيادتكم عدم الإفصاح عن الاسم أو العنوان واترك لنا برهة من الوقت لن تتجاوز نصف ساعة ، ونحن سوف نأتي

لك بكافة المتآمرين أحياءً وأمواتاً ، ودعني قبل هذا أعرض على سيادتكم مسار تصرفنا في هذا الخصوص ، نستطيع أن نقتله بالرصاص دون أن نترك أثراً خلف مجموعتنا أو أي دليل على فعلتنا ونستطيع في مظاهرة واضحة وفرد عضلات أكثر أن نقتله بمجموعة من القنابل اليدوية هو والحي والشارع أو المدينة التي يعيش فيها ؛ حتى يكون عبرة لغيره من المجانين والخونة ... ومن الممكن بسيارة مفخخة ... كما فعلنا في مرات سابقة كثيرة ، ومن الممكن تدبير اتهام له أو لزوجته أو أشقائه أو أبنائه مما يجعله ينزوي خجلاً ويتوارى بل ويشرع في الانتحار كما فعلنا من قبل ... ومن الممكن سيارة لوري مطموسة المعالم وغامضة اللوحات المعدنية يقودها أحد السكارى تقوم بهذا العمل دون أي ضجيج أو مفرقعات كما فعلنا من قبل وفي أحداث مماثلة ... حريق يشب مثلاً في العمارة التي يقطن بها ونهرع نحن للإطفاء وإخماده ، وفي وسط ضجيج الحريق نخمد كل من يتواجد في المكان كما فعلنا من قبل أو نشوه صورته وسمعته كما فعلنا في حادث الـ ...

أرجو من العضو المحترم أن يوجز دون الدخول في أسماء أو وقائع أو تواريخ مماثلة .

هذا ما قلته بعد أن نظرت إليه محذراً ... مما جعله يتلعثم في باقي كلماته ويستطرد :

- إذن لتسمح لنا سيادتكم بفترة سماح نصف ساعة فقط كي نعرض على سيادتكم اسم هذا الخائن وأيضاً مؤامرته بالكامل .
- لا ضرورة لذلك ، فإني أعلم مدى إخلاصكم ، وعلى العموم سوف أقوم بتوزيع ورقة لكل شخص فيكم مدون بها اسم ذلك المتآمر ونجتمع بعد نصف ساعة للتداول في الأمر ...

الفصل الثالث

حين بدأ الاجتماع لاحظت أن وجوههم وسحناتهم علتها سمة من الحيرة والوجوم وعدم التصديق وأن نظراتهم زائغة ومضطربة ، ووضح ذلك من طريقة جلوسهم على المائدة أمامي كما لمست ذلك في ارتعاشة أصابعهم ، وهم يمسكون بأباريق الشاي والمياة ... إلا إن ذلك لم يمنعهم عن إبداء موافقتهم ، وبلا حدود على الرأي الذي انتهت إليه والنتيجة التي أطمع في تحقيقها وتكلم أربعة منهم وفي نغمة واحدة وموحدة قائلين :

- إن رغبتكم السامية فوق كل اعتبار ... ومازلنا نحن عند سابق كلمتنا لسيادتكم نحن الأمناء المخلصين للنظام وضد أعدائه أيّاً كان هؤلاء الأعداء ، وأياً كانت مراكزهم وشخوصهم ، ويكفي أن سيادتكم أول من اكتشف هذه المؤامرة و ... ووسائلنا شرحناها لسيادتكم وعلى سيادتكم اختيار الوسيلة والتوقيت الملائم واترك لنا التنفيذ ... والنتيجة معروفة سلفاً .

- ما لي أراكَ لا تتحدث معهم بهذا الرأي نفسه .

سألت العضو الخامس الذي لاحظت أنه لا يشاركهم هذا الرأي ، الذي كنت أثق في إخلاصه ودهائه أكثر منهم بألف مرة ، ولكنه على ما يبدو خيب ظني .

- ليسمح لي سيدي أن أطلب فض هذا الاجتماع ؛ لأني أريد أن أتكلم معكم على انفراد .

- هالني هذا الطلب الفج إلا إنني سمحت له بذلك وصرفت الباقين ونظرت إليه متسائلاً :
- يا مولاي ... بالطبع فإن سيادتكم لا يداخلكم الشك في ولائي وإخلاصي لسيادتكم ولا يداخلك أي ريبة في مقدرتي على ترجمة رغباتكم إلى واقع حي ملموس ... ولكني أريد أن أشرح لسيادتكم ما يدور بخلدي إذا أذنت لي بذلك .
- لك خمس دقائق إذا أقنعتني بوجهة نظرك ولك خمس سنوات سجن إذا لم أقتنع .
- قال وهو ينظر إلى ساعة يده .

يا مولاي نحن نقول عن أنفسنا منذ عشرات السنوات أننا ثورة بيضاء ... ولم تُلطخ أيادينا بدماء أو أصابعنا أو أظافرنا بلحوم ، وإن كنا قد لطخنا ضمائرنا بأشياء كثيرة ، ولكن هذا موضوع آخر لا مجال للخوض فيه الآن – إذا كانت محاكمة هذا الملك قد تبدو غير عملية ومستحيلة ، وإذا كان تشويه وتلطيخ سمعته قد لا تأتي بنتيجة قوية ، وإذا كان تدميره أو نسفه أو هدمه بأي صورة من الصور قد لا يعطي نتيجة مرجوة مائة في المائة ... فأنا أريد أن أقول لسيادتكم أنه إنما يجب أن تكون الخسائر في أضيق الحدود ... العالم الآن لا يتجاوب مع الإرهاب أو الإرهابيين ووسائلهم من سيارات مفخخة أو قنابل يدوية أو أحزمة ناسفة أو عمليات انتحارية أو استشهادية ، لا فرق ، فكل هذه الوسائل

باتت مفزعة للعالم من حولنا ، وقد عفا عنها الزمن ، وتجاوزها بمراحل ، بل وإنهم الآن يطاردون و يحاكمون مرتكبيها فى محاكم خارجة عن سلطات الدولة ونفوذ حكوماتها ، هذا ما فعلوه مع نورتيجا ومع سفاح البوسنة والهرسك ، وقريباً مع بعض الرموز الحاكمة فى السودان ، ونحن نضن على شخصكم المفدى بذلك بل ونفديك بأرواحنا وبآبائنا وأمهاتنا رغم أنهم ماتوا من زمن بعيد .

- لم يبقَ سوى دقيقتين فقط .
- أقول لماذا لا تجرب نفي هذا الملك إلى مكان آخر كخطوة أولى ... أما الخطوة الثانية ، فإن تحاول أجهزة أعلامنا المسموعة والمقروءة والمرئية أن تقصي اسمه وصورته من أذهان الناس كافة حتى لا يُسمع اسمه ولا تجري سيرته على لسان أحد .
- يظهر على ما يبدو أنك متأثر بقصة إسكندر ديماس ... الرجل ذو القناع الحديدي لكن لك خمس دقائق أخرى ؛ لأني بدأت أقتنع بكلامك ، وإن كان ليس تماماً .
- في روسيا البيضاء أو السوداء كانوا يقومون بنفي معارضيهم إلى سيبريا ، حيث الصقيع صقيع البدن وصقيع الروح وتركهم للتجمد ، ومن ثم للموت البطيء والنسيان ونحن سنكون رحماء أكثر منهم ؛ لأننا ليس لدينا صقيع ولا ثلج ولا تجمد ولا مياه ... أصلاً نحن سوف نقوم ...

- انتهت الخمس دقائق وعليك غداً بتنفيذ هذه الفكرة أو الخطة ، ثم تأتي لمقابلتي ولك كافة الصلاحيات والأموال والسلطات وأنت في سبيلك لتنفيذ خطتك .
- ليعطني سيدي مهلة لإعداد مسرح العمليات وتهيئة الأمور لذلك الأمر .
- لك هذا ، ولكن لا تتراخى كثيراً .

الفصل الأخير

في صبيحة أحد الأيام الحارة من شهر يوليو من العام ٢٠٠٦م قبل الميلاد ... أذاعت وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة الخبر التالي :

" تقرر نقل الملك رمسيس الثاني من مكانه المعروف ، وهو الذي ظل به عشرات الأعوام ... إلى مكان آخر ، وذلك خوفاً عليه ، ولحمايته من الرطوبة والبرودة والقيل والقال ...

هذا ، وسوف تتكلف عملية النقل ستة وعشرين مليون جنيهاً ، تتحملها خزينة الدولة بالكامل " .

أما الخبر الثاني فكان :

" قررت الدولة تعيين السيد اللواء / أنور وجدي توفيق مدير المخابرات العامة نائباً لرئيس الجمهورية ، بالإضافة إلى عمله مدى الحياة ، مع منحه قلادة النيل ، ووسام الاستحقاق ، ونوط الواجب العسكري " .

العاشر من سبتمبر

عام ٢٠٠٦ ق.م

انفلونزا الطيور

قصة قصيرة

بالطبع لم ينطلِ علينا كلام الأطباء حين قالوا لنا أنها جرثومة صغيرة أصابت مريضكم ، وقلنا لأنفسنا أنهم إنما يقولون هذا لعدم درايتهم بالأمراض المتوطنة في منطقتنا أو أنهم وكعادة الأطباء دائماً يهولون من شأن الأمر حتى ينتشر الفزع بيننا .

وفي يوم إعادة الكشف تكرر التحذير بأن الجرثومة الصغيرة آخذة في الكبر ، وأنها أصبحت بؤرة من الجراثيم والفيروسات ؛ ولكن لأننا نعلم مدى جشعهم ، فلم نعرْ لكلامهم أية اهتمام ، فهم يقولون ذلك في محاولة ساذجة منهم لرفع قيمة الأتعاب أو الفيزيتة ، ولهذا فلم نكلف أنفسنا عناء التفكير في ماذا لو كان كلامهم صحيحاً ؟ وأيضاً لم نجد داعياً لعمل أشعة للمريض ؛ كي نقطع الشك باليقين ، هل هو مريض بالفعل كما يقولون ؟ أم إن وراءهم أغراض أخرى كما نعلم عنهم ، خصوصاً أننا نعلم عنهم أكثر مما يعرفون هم عن أنفسهم ... أقول إننا لم نكلف أنفسنا هذا العناء ؛ لأن الموقف كان واضحاً وضوح الشمس بالنسبة لنا .

ولقد تطوع أحد الأطباء وزارنا في المنزل وواجهنا قائلاً : إن الجسد قد امتلأ بالجراثيم وتغلغلت به وأن العلاج قد لا يكون ميسوراً أو متاحاً في الداخل ؛ لأسباب كثيرة منها عدم إمكانية العلاج الفنية والإكلينيكية والمهنية لدينا ، أيضاً عدم رغبة أهل المريض الجدية في تقبل علاج المريض ... وهنا قال له أحد أشقاء المريض – ووافقناه جميعاً – :

- إن الجسد جسدنا ونحن أحرار فيه ، ولا نريد إصلاح ما أفسده المرض ، وخصوصاً أن إصلاح والقضاء على هذا المرض سوف يأتي من الخارج ... وهم غير أهل للثقة ...

ولذا فإنهم – ولجشعهم الواضح – حذرونا بطريقة أكثر خشونة عن ذي قبل ، قائلين إن المرض سوف يتجاوز مرحلة اللاعودة ، وسوف يهدم الجسد كله ... وهنا تشاورنا جميعاً في هذا الأمر ، وساد الاقتناع الجازم بيننا بأنهم يريدون الاستحواذ على جسد المريض وأخذه للاستفادة منه ومن أعضائه المهمة ، وخصوصاً العقل والمخ والأعضاء الحساسة ، حيث يريدون أخذها لأنه لا يوجد لديهم مثل ما لدى مريضنا من أعضاء حساسة لا تنافس وعقل نادر لا يُبارَى .

وكلما ازدادوا إلحاحاً ، زدنا يقيناً واقتناعاً بأن كل شيء انكشف وبان ، فلا يوجد في العالم بأسره من تطوع بإسداء النصح هكذا وبلا ثمن ، وأيضاً لأنهم لا يعرفون مصلحتنا أكثر منا ، وأصبحت المسألة سجالاً بيننا وبينهم، حيث فوجئنا بأنهم أنشأوا موقعاً على الإنترنت ، قالوا فيه عن المرض وأوصافه ومضاعفاته الإكلينيكية ومكان توطنه ، وأيضاً قالوا على الإنترنت إن المشكلة لم تعد في الجسد فقط ، وإنما الجراثيم أصبحت وباءً سوف تعدي هذا المريض ، وتتعدى مخالطيه وجيرانه .

وهنا تنبهنا إلى خطورة الأمر – أمرهم – وقمنا باقتراض مبالغ مالية كثيرة من أهل الخير ورصدناها لشراء محطة بث فضائية عملاقة قام

بافتتاحها الشقيق الأوسط للمريض ، وندد في افتتاحيتها بكلامهم الوارد على الإنترنت وترك للشقيق الآخر مهمة تفنيد ما قالوه :

أولاً : بالنسبة لتطور المرض وانتقاله من المريض إلى أشقائه وجيرانه ، فإن جيرانه وأشقاءه لم ولن يتضرروا منه أو من مرضه ، وفي الفاصل بين حديثه وحديثه كنا نذيع لهم من فلكلورنا الشعبي أغنية جماعية حماسية تقول كلماتها :

أبـوها راضي وأخوها راضي

ومالك ومالنا أنـتَ يا قاضي

ومرة أخرى ، وفي سياق تلك الحرب الإلكترونية قالوا إن المرض ، وإن كان قد بدا صغيراً ومحدوداً في منطقة محدودة ، إلا إنه الآن أصبح خطراً على العالم كله ، وينبغي محاربته .

وفي صباح اليوم التالي لهذا البيان ، استضافت محطتنا الفضائية أحد الشيوخ للرد على هذا الافتراء ، فقال :

الحمد لله على هذا المرض الذي تتحدثون عنه ؛ لأنه نعمة من الله أهداها لنا ، حيث إن هذا المرض وقد أصبح وباءً يتجاوز حدودنا ، فإنه سوف يقضي عليكم أيها المحتالون الكذابون الكفرة ، وقال أيضاً وسط تصفيق الحاضرين : إننا سوف نحتفي ونحتفل بهذا الجسد ، وبما يشعه حيَّاً ، وبما سوف يشعه ميتاً .

بل إنه من حسن طالعنا فإنه ، وفي خلال فترة وجيزة أصبحت تلك الجراثيم وباءً خطراً وانتشرت انتشار النار في الهشيم ، وهنا ظهرت حسن توقعاتنا ، حيث إن هذا المرض أصبح سلاحنا ضد الكافة ، وأنه طال أول ما طال في طريقه هؤلاء الأطباء وطبهم الذي كانوا يخوفوننا به ، بل وظهرت آثاره في بلاد وتجمعات بعيدة وكثيرة على مستوى العالم ، واكتسح في طريقه أقوى المعاقل الطبية والحصون الدفاعية ، في الملايو وأسبانيا والفلبين وكاتمندو وبالي وأندونيسيا وأستراليا ولندن ومدريد ، ومن قبل كان في ميونخ وتركيا وفرنسا ونيويورك نفسها ، بل وأصبحنا نحن الذين نتحكم في نقل هذا المرض ، إن شئنا سلطناه على بلد من البلدان ، وإن شئنا منعناه عنهم ... أوَليس أدل على قدرتنا في إطلاقه أو التحكم فيه إننا حين عقدتْ دورة الألعاب الأولمبية في أثينا عام ٢٠٠٤ م ، وانشغل العالم كله حكوماتٍ وشعوباً ، خشية أن يتفشى هذا المرض اللعين ، حيث كان سيجد مرتعاً خصباً بين تجمعات المشاهدين لعرس هذه الألعاب ، إلا إننا استطعنا أن نثبت للعالم كله قدرتنا على منع وصول المرض هناك ، فلم نطلقه ... ولم يصب أي أحد في هذه الدورة بسوء ، لا من بعيد أو قريب !

ألم نقل من قبل أن هؤلاء جشعون متآمرون علينا ، ويريدون الاستحواذ على الجسد وأعضائه الحساسة، وهذا دأبهم في التآمر علينا منذ بدء الخليقة، الذي لم يغيروه حتى الآن .

وحين ظهر لديهم أنه لا فائدة من هذا التآمر المغلف بالنصح والإرشاد ، آثروا السلامة وتقوقعوا داخل حدودهم وأقاموا حولهم أسواراً شائكة وحوائط منيعة وجدر عازلة ، وأصبح الداخل إليهم – خصوصاً مَن كان ينتسب لعائلتنا – يتعرض للفحص والتحري وأخذ بصماته ، ويتم تفتيشه ذاتياً وطبياً ؛ للتأكد من سلامة جسده ونيته وأنه لا يخفي شيئاً أعده لهم ، ولكن هيهات ، هيهات ، فإن حصونهم ليست بمانعتهم مما يخشونه منا .

واليوم تذكرت كل هذا وضحكت ... ولكن الذي أقلقني ، هو أني علمت أن هناك مرضاً آخر بدأ في الانتشار في العالم ويسمى بإنفلونزا الطيور ، الأمر الذي دعاني إلى طلب عقد اجتماع عاجل للعائلة كلها لبحث كيفية محاربة هذا المرض الجديد ، الذي أصبح منافساً لنا في خطورتنا .

بقلم

أنور وجدي توفيق

المنيا – مارس ٢٠٠٥ م

قصة الحد الفاصل

أو رسالة إلى صديقي الغبي

عزيزي السيد / وليم جورج كريجي

المقيم في ٦١ شارع الإسكندر الأكبر – مقاطعة لوكسمبرج

لا شك أنك سوف تأخذك الدهشة والحيرة ، حين تصلك هذه الرسالة مني ، الآن وبعد انقطاع عن المراسلة دام ما يقرب من خمسة وأربعين عاماً ... وربما داخلك الخوف والريبة والتوجس حين تطالع خاتم البريد ، وتعرف منه أنها مرسلة إليك من شخص ينتمي إلى قوم كنتم من قبل تعتبرونهم متخلفين ... أما الآن ، فإنكم تصفونهم بالإرهابيين والقتلة – بغض النظر عن صحة رأيكم هذا في هؤلاء الناس – فليس هذا مجال الدفاع أو الإقناع ... لذا فإني أسارع وأبدد كل هذه التساؤلات وأدخل في لب الموضوع مباشرة .

لدينا يا صديقي مشكلة تؤرق رجالنا بل ونساؤنا ، ولكن دعني قبل عرض هذه المشكلة عليك أن أقول لك أني - بالصدفة المحضة - شاهدتك منذ أسبوع على إحدى القنوات الفضائية التي تهتم بشئون العلم – وهي قناة ديسكفري – أقول إني شاهدتك على هذه القناة وأنت تترأس

مؤتمراً دولياً يهتم بمشاكل الغذاء في دول العالم كافة ، وكيفية توفيره لهم ...

ولقد داخلتني مشاعر شتى حين رأيتك في التليفزيون ، أول هذه المشاعر كانت الفرحة ؛ لأني أرى صديق الصبا ، وأعرف ما وصل إليه حاله ... كذلك سرني أن عرفتُ عنوانك ، وكيفية مراسلتك ، كذلك فإني شعرت بالفخر الشديد والمباهاة أمام أولادي ، وحدثتهم وأنا أشير إليك قائلاً أني وهذا العالم الكبير تزاملنا منذ أكثر من خمسة وأربعين عاماً ، حين كنت مقيماً بالقاهرة ، وتجاورنا في السكن ، عائلتك وعائلتي ، بل وأطلعتهم على بعض الصور الفوتوغرافية التي جمعتنا أنا وأنت ووالدتك ووالدتي ، ونحن نتنزه فوق شاطئ النيل ، ولم نكن قد تجاوزنا مرحلة الصبا بعد ... وقصصت لهم كيف أنك كنت – دوناً عن أقراننا جميعاً – تشغف بالعلم والتحصيل والمطالعة والموسيقى ، بينما كنا نحن ننصرف إلى اللهو واللعب وتضييع الوقت ، ونقول لك : " ساعة لقلبك وساعة لربك " ، وكنت أنت تقابل كلماتنا بنظرة غريبة منك ، كنا نحتار في تفسيرها حينذاك ، وتقول لنا في اقتضاب " لازم ناس تلعب وناس تجد وتعمل " ، وتتركنا

فيما نحن فيه ، وتستمر أنت فيما اخترته لنفسك ، وكنا نضحك من نطقك بالمصرية بحروف مكسرة .

وقصصت لهم كيف كنت تطلب من والدتي أن تعد لك صينية محشي كبيرة الحجم ، وكنت تتناولها بلذة وخفية عن أعين والدتك ووالدك – الأوربيين الجنسية الدم والطباع- حيث نهوك عن تناول مثل هذه الأطعمة ... وكان سبب غضبهم منها أن والدتك فشلت فشلاً ذريعاً في أن تعد مثلها – أي مثل صينية المحشي – في مطبخ الفيلا الخاصة بكم .

وحدَّثت أولادي يا سيدي كيف كنت تسعد حين كنت تحضر إلى منزلنا وكيف كانت سعادتك كبيرة ذات مرة ، حين رأيت عندنا آلة بيانو ، فسارعت بإزالة ما تراكم عليها من غبار وأتربة ، واستغرقت في العزف لإحدى المقطوعات الموسيقية للعبقري النمساوي لودفيج فون بيتهوفن ... وحين قالتْ لك والدتي : لدينا سيد درويش ... قلتَ لها بتعجب مقرون بالصلف : لديكم ؟! إنَّ الموسيقى والفنون ملك العالم أجمع ، وليس لدى أحد أو ملك لأحد .

أظنك قد تذكرتني الآن .

أعود للمشكلة ...

مشكلتنا يا سيدي تتعلق بالفلفل الأحمر ... أجل يا سيدي الفلفل الأحمر، فهذا النبات يا سيدي كان قوام الأكل لدينا ... وكنا نزهو بلونه الأحمر الفاقع وشدة لمعانه ، وتشابهه في تصلبه بالرمح الذي لا ينثني ولا ينكسر ... وكذلك فعاليته الشديدة ، أما الآن يا سيدي – وهذه هي المشكلة – فقد أصابه الهزال الشديد والانكسار ، وفقد تصلبه ، ومن ثم فقد ضاعت فاعليته ولزوميته وصلاحيته .

الهزال في اللون والقوام والمفعول .

الأرض كما هي ... والفلاح كما هو ... والمياه كما هي ... والبذور لم تتغير ... لم يتغير شيء ، ولكن ليس هذا ما تعودنا أن نزرعه وننتجه ونعيش به وعليه .

الرجال يا سيدي في حسرة على محصولهم ، وهو رأس مالهم ... والنساء في حيرة من أمرهم ومن مصيبتهم .

أما زوجتي ياسيدي – زوجتي التي لم ترها أنت – فهي أسبوعياً وصباح كل خميس تقول لي :

" ابقى دوَّر على فلفل أحمر كويس النهاردة " .

لقد أخفقت كل الحلول لدينا ... حتى السحر والسحرة لم يُفلِحا في هذه المشكلة القومية المهدِّدَة لأمننا الوطني ...

لذا فقد سارعت بالكتابة إليك ، وكلي أمل في أن تجد حلاً سريعاً لهذه المشكلة ... كما آمل أن تُبقي هذا الأمر سرَّاً لا يتجاوز شخصي وشخصك .

" والسلام "

المرسل : صالح المجاهد حرب

المنيا – عشش محفوظ (*) – مصر

العاشر من أغسطس عام ٢٠٠٥م

(*) عشش محفوظ بالمنيا كانت منطقة عشوائية لا تمت بصلة للقرن الخامس عشر ، حيث كانت ترتكب بها كل الموبقات من تعاطٍ للمخدرات ، ولعب القمار والسرقات ، وإيواء المجرمين ، وكذلك زنا المحارم ، وأزيلت حالياً ... [المؤلف] .

السيد حرب :

أولاً : لا ... لم أندهش يا سيدي ، ولم تدخلني الريبة والخوف ، فحتى وإن كنا كما تدَّعي أنت نصفكم بالقتلة والإرهابيون ، إلا إن ذلك لا يجعلنا نخاف منكم أو نخشاكم بقدر ما يحفزنا على دراستكم كظاهرة خطرة ومحيرة ، ومن ثم نحاول أن نضع الحلول لمعالجتها والقضاء عليها .

ثانياً : أسعدني كثيراً أن تراسلني ، وأسعدني أكثر أن أعرف أنك مقيم في ضاحية عشش محفوظ ، حيث اعتبرت أنا أن حكومتكم قد قامت أخيراً بتكريم الكاتب العالمي نجيب محفوظ ، وأقامت له ضاحية أو مقاطعة باسمه ... ولكنني لم أفهم لفظ عشش ... هل هي ابنته أم أخته أم والدته أم لقب عائلته ... كذلك حيرني أنك لم تذكر لي رقم منزلك في هذه الضاحية .

ثالثاً : أود أن أقول لك أن الموسيقى التي عزفتها في منزلكم منذ أكثر من خمسة وأربعين عاماً كانت للموسيقار الروسي ريمسكي كورساكوف ، وكانت باسم شهرزاد ، ولم تكن للنمساوي بيتهوفن ... وقد عزفتها لكم خصيصاً ؛ لأن هناك تقارب بينكم وبينهم في الأمزجة الموسيقية ... وقد

أوضحت لكم في حينه ... ولكن ربما جاءك هذا الخلط من جرَّاء أكل المحشي بكثرة ، أو ربما من تأثير تراكم الغبار والأتربة كما ذكرت .

رابعاً : أما بخصوص ما ذكرته لأولادك من تناولي لأكلات المحشي عندكم ... فلماذا لم تشر لهم – ولو من بعيد – أني كنت أدفع لك ثمن كل حَلَّة ، قبل تناولي ما بها من أطعمة ، وكنتُ أصرّ على هذا ، وكنت أنت ترجوني ألَّا أعرِّف أحداً بهذا المقابل الذي أدفعه لك ... ولماذا لم تذكر لهم أن والدتك حين علمت أني أدفع ثمن المحشي ، عاقبتك وقامت في إباء وشمم برد كل ما دفعتُه لكَ من ثمن المحشي .

خامساً : أما ما حيرني حقاً ، فهو أمر تلك المشكلة التي باتت تؤرق قومكم ... حقيقة لم أفهم لماذا الفلفل الأحمر بالذات ... هل انتهت كافة مشاكلكم ، ولم تتبقَّ لديكم إلا لديكم إلا مشكلة الفلفل الأحمر ؟؟! لا يوجد بديل تستخدمونه مكانه – الكاتشب مثلاً ؟!! كما لم أفهم لا أنا ولا أعضاء فريق البحث الذي أشركته معي في هذا الموضوع ، ما هو السبب الذي جعلكم تصابون بالقلق والحسرة رجالاً ونساءً من هذا الموضوع وتعتبرونه أمراً حيوياً يتعلق بالأمن القومي لبلادكم بدلاً من أن تعتبرونه

يتعلق بالأمن الغذائي ... إلا إذا كنتم ما زلتم لم تتخلوا بعد عن روح الفكاهة والضحك وتضييع الوقت فيما لا طائل من ورائه أو أنكم ما زلتم تعملون بالمَثل القائل : " الفلفل الأحمر ينفع في اليوم الأغبر " .

سادساً : لم أفهم ما علاقة هذه المشكلة بيوم الخميس ... هل لا تأكلون إلا يوم الخميس فقط ؟! وإذا كانت زوجاتكم تلح عليكم في حل هذه المشكلة ، فلماذا لا تطلقوهن أو تسرحوهن بإحسان كما تعرفون وتأتون بغيرهن ، إلا إذا كان عدم تطليقهن يرجع إلى أسباب أخرى تتعلق بكم مثل عدم استطاعتكم اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب .

وأخيراً : أقول لك إنه عليكم إما التخلي عن فكرة الفلفل عموماً أنتم وزوجاتكم ، وأما فعليكم استشارة فريق متخصص قد يكون نفسانياً أو روحانياً أو عضوياً ... وإلا فلن يكون هناك حل لمشاكلكم لا في لوكسمبرج أو بباقي أنحاء العالم .

ملحوظة (١) : أرجو أن تعذروني أن أطلعت فريق بحثي على هذه المشكلة، فلا حياء في العلم ، كما تقولون أنتم دائماً ... أما من ناحيتي أنا ،

فإني أرى أن هذه الضارة التي ألَّمت بكم ربما تكون نافعة للجنس البشري عموماً ... وكما تقولون أنتم " رب ضارة نافعة " .

ملحوظة (٢) : تساءل رفاقي عن اسم حرب – وهو لقب عائلتك – هل مازالت هذه الحرب قائمة إلى الآن ... وكانت ضد مَن ومع مَن ... وإذا كانت قد انتهت ، فمَن الذي انهزم ومَن الذي انتصر ... إلا إن هذا لم يؤثر من قريب أو من بعيد في تناولهم للمشكلة ...

وليم جورج كريجي
لوكسمبرج
٣١ أغسطس ٢٠٠٥م

المؤلف
أنور وجدي توفيق
خريف عام ٢٠٠٥ م